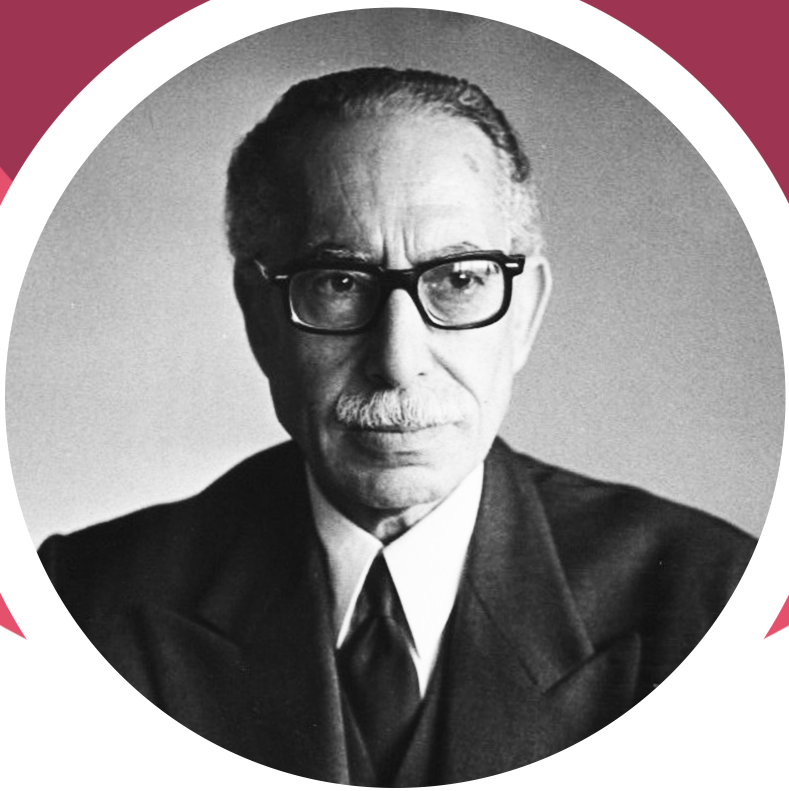

الحمير

توفيق الحكيم

الحمير

تأليف
توفيق الحكيم

هنـــداوي

الحمير

توفيق الحكيم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٨ ٣٩٢٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٦.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ توفيق الحكيم.

المحتويات

كلمة	٧
الحمار يفكر	١١
الحمار يؤلف	٢٩
سوق الحمير	٥١
حصحص الحبُّوب	٦٩

كلمة

إن نبض الحياة في أمة من الأمم يشبه نبض الحياة في جسم من الأجسام؛ وهو الإحساس بالخير، والوعي للصواب والخطأ. ولما كان مركز الإحساس والوعي في الجسم هو المخ، فإن هذا المركز في الأمة هو المخ أيضًا، ومخ الأمة هو الفكر وأهل الفكر.

وعلى ذلك فلا حياة لأمة إلا بإحساسها ووعيها لما يحدث لها. ولقد كان إحساس مصر ووعيها في مطلع هذا القرن وقبله هو حاجتها إلى أن يكون لها صوت وإرادة في حكم نفسها. على الأقل في المجال الداخلي — ما دام الاحتلال البريطاني يشلها في المجال الخارجي — فكان أن ارتفع صوتها بمطالبة الخديو بالدستور. وكان شباب الأمة وقتذاك كلما مرَّ بهم موكب الخديو هتفوا: «الدستور يا أفندينا.» فلما قامت ثورة ١٩١٩م وأدَّت إلى تطبيق دستور يكفل نوعًا من الديموقراطية سُمِع فيه رأي الشعب، وتجلَّت فيه صور من التعبير عن وعيه لشئونه ومشكلاته؛ بدأت تتضح معالم حياته، وتتشكل ملامح شخصيته. ولكن هذه الديموقراطية ما لبثت أن انحرفت عن مجراها الطبيعي؛ بالانقسامات الحزبية التي كانت تديرها وتثيرها الأيدي الخفية للسراي والسياسة البريطانية؛ لإيجاد الفُرقة بين الأقلية والأغلبية، وفطن أهل الفكر الحر إلى ذلك الانحراف، وبدأَت الكتابة فيه، وكتبتُ أنا — بالفعل — «شجرة الحكم»؛ تصويرًا لانحراف الديموقراطية وتزييفها.

وجاءت الحرب العالمية الثانية، وظهر نوع من الأثرياء الجدد، أُطلِق عليهم يومئذٍ «أثرياء الحرب»، كما ظهرت في بلادنا أعراض الرأسمالية المستغِلة التي كنا نسمع عن أمراضها في الغرب، وأخذت موازين المجتمع تختلُّ؛ إلى حدٍّ شعرنا معه بضرورة التفكير في الاشتراكية، وتوزيع الملْكية والثروات توزيعًا عادلًا. واقترح — بالفعل — أحد أعضاء مجلس النواب في ذلك العهد تحديد الملكية الزراعية بمائة فدان، كما عرض أحد وزراء حزب الأغلبية

على البرلمان مشروعًا برفع ضريبة الأطيان على كبار الملاك، ومشروعًا للضمان الاجتماعي، كما نشرت جريدة «المصري» لأحد هؤلاء الوزراء خطبة جاء فيها تحبيذ للاشتراكية، مما جعل خصوم هذا الحزب يدسُّون له عند الملك فاروق بقولهم إنها دعوة للشيوعية.

وظهر جليًّا أن وعي الأمة الحي النابض لا بد أن يهبَّ؛ ليدفع البلاد في اتجاه اشتراكي داخل إطار النظام الديموقراطي؛ إذ كان من المستبعد أن يتم ذلك عن طريق انقلاب عسكرى؛ لأن الجيش هو القوة التي كان الملك فاروق يعتمد عليها باعتباره الرئيس الأعلى للجيش.

فلما قام الجيش بهذا الانقلاب كانت دهشة للجميع، خاصة أن جيش الاحتلال البريطاني كان مرابطًا على مقربة من القاهرة، وكان من الممكن لدباباته وطائراته إجهاض حركة الجيش في دقائق، وعُلِم بعدئذٍ أن أمريكا تدخلت لتأييد حركة الجيش المصري ضد فاروق، وشلَّت يد بريطانيا، واختلفت الأسباب في موقف أمريكا؛ وفُسِّر — فيما فُسِّر — بأنه خوفها من الاتجاه الاشتراكي عن طريق شعبي لا يمكن السيطرة عليه فيؤدي إلى الشيوعية، ولا بأس عندها من اشتراكية محكومة بقبضة جيش.

مهما يكن من أمر؛ فقد قامت حركة الجيش بعد طرد فاروق بإصدار القرارات لتحقيق الأماني التي سبق للأمة أن فكرت فيها وعملت لها، ورحبنا جميعًا بهذه الحركة، وأسميناها الحركة المباركة، ثم أُطلق عليها وصف الثورة. وتعلقت الآمال بثورة يوليو ١٩٥٢م. ونشطت هذه الثورة لمحاسبة العهد السابق ومحاكمة رجاله؛ فأنشأت محاكم الثورة ولجان التطهير ونحو ذلك. ولم تسفر هذه المحاكمات عن مخالفات جسيمة عرَّضت البلاد بالفعل لخسائر ماحقة أو هزائم قاصمة، إلا أننا كنا — نحن — قبل الثورة قد اعتبرنا ما كان يحدث من انحراف وتزييف للديموقراطية أمرًا لا يمكن السكوت عليه طويلًا، ولا بد له من التصحيح والتوجيه إلى الطريق الاشتراكي.

فلما جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢م، ووضعنا فيها أملنا في هذا التصحيح والتوجيه؛ وجدنا أن هذا يحدث في إطار الحكم المُطلَق، ومع ذلك رضينا بهذه الاشتراكية بديلًا عن الديموقراطية؛ أي عن الحرية الليبرالية.

ولكن مع مرور الوقت اتضح لنا شيئًا فشيئًا أن تطبيق الاشتراكية عندنا أصبح مماثلًا لتطبيق الديموقراطية، وأن ما وضعناه قبل الثورة من انحراف وزيف للديموقراطية بدأ يقابله انحراف وزيف للاشتراكية؛ إذ لا يمكن التطبيق السليم للاشتراكية مؤديًا إلى هذا المستوى الاجتماعي السيئ للشعب؛ وإلا كانت الاشتراكية نفسها مخيبة لآمال الشعوب. وإذا

كانت الديموقراطية عندنا قد انحرفت إلى نوع من الانتهازية السياسية، فإن الاشتراكية عندنا قد انحرفت هي الأخرى إلى نوع من اللصوصية البيروقراطية.

لهذا كتبتُ هذه الصورة في كتاب «الحمير» التي قد تُماثل من حيث التناول الفني الكاريكاتوري تلك الصور السابقة في كتاب «شجرة الحكم».

ولعلم أولئك الذين قد يسألون: لماذا لم تظهر هذه الصور كلها من كتاب «الحمير» في عهد سابق؟ أقول لهم مؤكدًا أنها أُرسِلَت بالفعل للنشر في جريدة الأهرام في ذلك العهد السابق أمام شهود قُرِئت عليهم، ولكن رئيس التحرير المسئول للأهرام وقتذاك وجد حرجًا شديدًا في النشر، وحبس المسرحيتين الأولى والثانية؛ أي «الحمار يفكر» و«الحمار يؤلف» حبسًا طويلًا في مكتبه دون أن يرى من الممكن نشرهما على الإطلاق. إذن فالوعي قد وُجِد، والقلم قد كتب، ولكن النشر قد مُنِع. وهذا ما لم يكن يحدث في مصر من قبل؛ فلقد نُشرت صور «شجرة الحكم» بما فيها من سخرية بحكام في كراسي السلطة دون أن يجرؤ أحد منهم على منع النشر.

وبعد …

فما الذي يريده مثلي الآن من نشر هذا الكتاب؟

كل ما أريد هو أن يظل نبض الحياة في أمتنا قائمًا بوظيفته الحيوية، ولا قيمة لحياة بغير وعي، وكما أن الوعي عندنا قبل الثورة قد جعلنا نفحص الديموقراطية؛ لنتبين فيها مواضع الزيف، كذلك يجب علينا — إذا كان نبض الحياة فينا لم يقف — أن نفحص الاشتراكية لنتبين فيها مواضع الزيف.

وإذا كانت الاشتراكية عندنا قد انحرفت أو زُيِّفَت، كما انحرفت من قبلُ الديموقراطية أو زُيِّفَت، فلماذا قَبِلْنا محاكمة الديموقراطية المنحرفة، ولم نقبل فكرة المحاكمة للاشتراكية المنحرفة؟

وإذا كانت ثورة يوليو ١٩٥٢م قد حاكمت الديموقراطية المنحرفة؛ لأنها أدَّت إلى هزيمة حرب ١٩٤٨م، فلماذا لا تحاكَم الاشتراكية المنحرفة التي أدَّت إلى هزيمة حرب ١٩٦٧م؟

وشتان بين نتائج الهزيمتين وخسائر الهزيمتين!

من حسن الحظ أن جوهر شعبنا — على الدوام — سليم لم يُمَس، وأن معدنه نفيس. والجوهر الخالد والمعدن النفيس ضد الزيف. وإنه ليتعين أن نبدأ صفحة جديدة تكون فاصلة بين الزيف والصدق، وبين المرض والصحة. وكما أنه لا يمكن الدفاع عن الصحة

بالتستُّر على المرض، كذلك يجب الدفاع عن سلامة المستقبل بالكشف عن كل ما قبله. والدوام لمصر.

(ت. ا)

الحمار يفكر

(المؤلف جالس إلى مكتبه، واضعًا رأسه فوق كفه، وهو مستغرق في التأمل والتفكير ... يدخل عليه حمار.)

الحمار: تسمح أقدِّم نفسي؟ أذكِّرك بنفسي؟

المؤلف: تفضل!

الحمار: أنا حمار ... حمارك القديم.

المؤلف: تشرفنا!

الحمار: أنت تتجاهلني دائمًا و... تحتقرني ... لكن هذا لا يمنع من كوني موجودًا أفكر.

المؤلف: تفكر؟!

الحمار: مثلك تمامًا ... ألم يقل فيلسوفكم: «أنا أفكر إذن فأنا موجود»؟ وأنا أقول لك: «أنا موجود، إذن أنا أفكر!»

المؤلف: وهل كل موجود يفكر؟

الحمار: وما المانع؟ ... هل دخلتَ في رأس كل موجود؟!

المؤلف: فليكن ... هل تأذن لي في أن أسألك: فيم تفكر؟

الحمار: في كل شيء تفكر فيه أنت ... هل تأذن لي في الجلوس؛ لأعرض عليك نماذج من تفكيري؟

المؤلف: بكل سرور.

الحمار: أولًا سأعرض عليك بعض ما أعرف عنك وعن غيرك من الحمير.

المؤلف: غيري من الحمير؟!

الحمار: عفوًا ... أقصد غيرك من المفكرين والمؤلفين؛ فربما خطر لي أنا أيضًا أن أؤلف. ولكن قبل ذلك يجب أن أفكر، وقبل أن أفكر يجب أن أقرأ وأن أطَّلع، ولقد اطلعت بالطبع على الكثير من حكايات إخواننا الحمير — أقصد إخواني — سأقص عليك بعضها هنا. أما تفكيري فقد أدى بي أخيرًا إلى النظر في معاني ومغازي حكاياتكم، ومنها ما جاء في ألف ليلة وليلة، وأهمها ما دار حول شهرزاد وشهريار، وأظنك أنت كتبتَ شيئًا عن شهرزاد؛ لعلها تمثيلية؟

المؤلف: هذا صحيح.

الحمار: هناك خلاف بين نهاية كتاب ألف ليلة، ونهاية تمثيليتك؛ في الكتاب يعيش شهريار وشهرزاد في تبات ونبات، وينجبان ذرية من الصبيان والبنات. أما عندك أنت فإن شهريار ينتهي بأن يهجر زوجته، ويترك قصره، ويخرج هائمًا على وجهه في الخلاء ... أليس كذلك؟

المؤلف: بالضبط.

الحمار: لم تقل لنا ماذا فعل بعد ذلك؟ وماذا وجد في الخلاء؟ ومن قابل هناك؟ وكيف عاش؟

المؤلف: هذا فعلًا ما لم أفكر فيه.

الحمار: أنا أفكر لك! وقد فكرتُ في ذلك، واسمح لي أعرض عليك نتيجة تفكيري، وأرجوك أن تتابع في صمت تسلسل فكري وتصوُّري لما حدث لشهريار في الخلاء ... إن هذا الخلاء كما أتخيله لا بد أن يكون قفرًا ... جبليًّا لا ينبت فيه غير بعض شجيرات برية ... ولا بد أن يقطن في هذا الخلاء كالعادة اللصوص وقُطاع الطرق ... وقُبيل ظهور شهريار في هذا الخلاء يكون في أسفل ربوة من تلك الربى بعض أولئك اللصوص؛ لصَّان منهم يهُمَّان بصعود الربوة ... هل تتابعني في هذه الصورة؟

المؤلف: نعم ... وبعد؟

الحمار: هل الصورة مُشوِّقة؟

المؤلف: لا بأس ... أكمِل.

الحمار: يُستحسَن أن نجعل هذه الصورة وهذا التفكير الذي أَنتجها في عقلي يتجسد لك حقيقة تتحرك.

المؤلف: بالطبع هذا أفضل.

الحمار: إذن تصور الآتي ... مجسدًا ... متحركًا.

المؤلف: تصورتُ!

الحمار: نحن الآن في الخلاء ... والشجيرات البرية هنا وهناك في المكان. ولصَّان أحدهما ضخم الجسم، والآخر نحيل يصعدان الربوة على مهل وهما يتحدثان هكذا:

(المشهد مجسدًا.)

اللص النحيف: عرفتَ الخطة أيها العضو المحترم؟

اللص الضخم: عرفتُها. بسيطة للغاية. سنهبط الربوة في الناحية الأخرى، ونفاجئ الراعي؛ إنه يغالب النعاس في هذه الساعة عادةً، وكلبه إلى جواره مشغول بقطعة عظم. وقطيع الغنم وحده، والسطو سهل مريح.

اللص النحيف: السطو؟! تقول السطو؟!

اللص الضخم: الجباية ... الجباية.

اللص النحيف: نعم. حاذر! ... لو سمعك شيخنا ومستشاره العلَّامة تنطق بمثل هذه الألفاظ ...

اللص الضخم: لساني لم يتعود بعدُ الكلمات الجديدة.

اللص النحيف: لأنك غبي كما لاحظ المستشار العلَّامة!

اللص الضخم: ماذا يريد بالضبط هذا العلامة؟ هل تفهم ما يقول؟

اللص النحيف: طبعًا أفهم.

اللص الضخم: وأنا طبعًا مثلك أفهم.

اللص النحيف: لا ... أنت لا تفهم شيئًا ... أنت قوي الجسم فقط، ولذلك ندبوني لمصاحبتك؛ لأكون أنا العقل المدبر، وأنت التابع المنفِّذ.

اللص الضخم: ولكني مثلك تمامًا عضو محترم.

اللص النحيف: هذه مسألة أخرى.

اللص الضخم: ونصيبي مثل نصيبك تمامًا في الأسلاب.

اللص النحيف: الأسلاب؟! المكافآت يا حيوان!

اللص الضخم: غلطة لسان. لكن قل لي ... ما هي الحكمة من هذه الكلمات الجديدة؟

اللص النحيف: الحكمة — يا غبي — هي أكاذيب شهرزاد. يظهر أنك لا تصغي إلى العلَّامة وهو يجمعنا كل ليلة حول الشيخ.

اللص الضخم: أصغي طبعًا.

اللص النحيف: كان يجب أن تسمع — إذن — ما قاله عن الملكة شهرزاد وقصصها التي تخترعها للملك شهريار ... وما روته بالذات في حكاية علي بابا والأربعين حرامي.

اللص الضخم: نعم. كانت تقصدنا نحن!

اللص النحيف: وزعمت أننا متنا في قدور الزيت المغلي، وأن شيخنا قُتِل بخنجر جارية اسمها مرجانة ... هل هذا صحيح؟

اللص الضخم: لا طبعًا ... كذب ... بدليل وجودنا على قيد الحياة.

اللص النحيف: نباشر عملنا كما ترى بهمَّة وذمَّة!

اللص الضخم: ونقوم بالجباية ... الجباية.

اللص النحيف: نعم. وجبينا المال ... فجاء علي بابا واختلس مالنا وأصبح مواطنًا محترمًا ... مَن إذن الأحق بلقب المواطن المحترم؟ نحن الذين اجتهدنا في جمع المال أو علي بابا الذي استغفلَنا ونهبَنا؟! فهمتَ الآن لماذا أنت عضو محترم؟

اللص الضخم: طبعًا ... هذا شيء مفهوم.

اللص النحيف: لا ... أنت كنت تغط في النوم عندما كان العلامة يشرح كل ذلك في جماعتنا الموقرة.

اللص الضخم (وقد وصل إلى أعلى الربوة ونظر إلى السفح الآخر)**:** انظر ... ها هو الراعي هناك يغط في نومه، والغنم هاجعة ... الفرصة سانحة الآن.

اللص النحيف: أسرِع إذن ... جماعتنا تنتظر عشاءها من هذا الضأن ... نفِّذ الخطة كما رسمتُها لك. وعليك أن تسوق الغنم إلى المغارة ... كل هذا في لمح البصر ... مفهوم؟

اللص الضخم: مفهوم.

(يهبطان السفح الآخر ويختفيان ... الملك شهريار يظهر في ثيابه الفاخرة وعمامته المرصعة ويقف فجأة.)

شهريار: ها هنا ... ها هنا فلأقف ... لأدفنك يا شهريار! ... في ظل هذه الربوة ... وبين هذه الشجيرات البرية ... أدفن الماضي ... (يستل خنجره ويحفر به حفرة) لا أريد العودة ... تركتُكِ يا شهرزاد ولن أعود ... لن أكون الملك شهريار مرة أخرى! ها هي ثياب الملك لم تَعُد تصلح لي بعد اليوم ... (يخلع ثيابه الفاخرة) أريد التخلص من كل هذا ... أريد التمرد على كل حياتي القديمة ... كل ما يصلني بالأمس ... بقصري ... بعصري ... بعزلتي عن حياة الناس ... لقد متُّ يا شهريار القديم. وهنا قبرك ... (يُلقي ثيابه في الحفرة) ولن

يكون فوقه شاهد من رخام أو حجر ... سأهيل عليك التراب، وأسوي الأرض. ولن يعرف أحد أين أنت ولا أين رقدت. (يهيل التراب، ويسوي الأرض بعد أن دفن الثياب والخنجر، ولم يبقَ إلا العمامة المرصعة) أما هذه العمامة الفاخرة وما عليها من جوهرة، فيحسن أن ألقي بها هناك ... ليراها الناس ويعرفوا خبر موتك ... مات الماضي. ولْيحيَ المستقبل!

(اللص النحيف يظهر من خلف الربوة وهو يصيح بصاحبه.)

اللص النحيف: لا تصعد بالغنم من هنا ... اذهب بها عن طريق الوادي؛ فهو أسهل لنا، وستجدني في انتظارك عند المغارة.

(شهريار يلتفت ناحية الصوت ويرتبك قليلًا.)

اللص النحيف (يرى شهريار ويصيح به)**:** مَن الرجل؟
شهريار (في ارتباك)**:** أنا ...
اللص النحيف (وهو يهبط الربوة ليقترب منه)**:** أنت مَن؟ تكلم.
شهريار: عابر سبيل.
اللص النحيف: وما الذي جاء بك إلى هنا؟ ما من أحد يجرؤ على الاقتراب من هذا المكان.
شهريار: لماذا؟
اللص النحيف: ألا تعرف؟!
شهريار: لا ... لا أعرف.
اللص النحيف: يظهر أنك مغفل ... أو أنك شجاع. والأصح أنك مغفل؛ لأنك واقف هنا بغير سلاح، وبغير متاع ... لكن انتظر ... ما هذه العمامة الملقاة؟ ... أهي لك؟
شهريار: لا.
اللص النحيف (يلتقطها)**:** يا للعجب العجاب! إنها عمامة ملِك! ... لمن هذه العمامة العظيمة يا رجل؟
شهريار: للملك.
اللص النحيف: أي ملك؟
شهريار: شهريار.
اللص النحيف: عمامة الملك شهريار؟! ... وأين وجدتَها؟
شهريار: فوق رأسه!

اللص النحيف: ماذا تقول؟ فوق رأسه؟! وأين رأسه؟

شهريار: مدفون.

اللص النحيف: مدفون أين؟

شهريار: هنا.

اللص النحيف: ومن الذي دفنه هنا؟!

شهريار: أنا.

اللص النحيف: أنت؟! أنت الذي دفنتَه؟

شهريار: نعم. قتلتُه ودفنتُه.

اللص النحيف: قتلتَه؟!

شهريار: خنقتُه.

اللص النحيف: ماذا أسمع؟ ... خنقتَه؟!

شهريار: بيدي.

اللص النحيف: خنقتَه بيدك ... ودفنتَه ... وأخذتَ عمامته؟! ... يا للمصيبة!

شهريار: ولماذا مصيبة؟!

اللص النحيف: وأين كان هو؟! وأين كان الحرس؟!

شهريار: كان وحيدًا.

اللص النحيف: وحيدًا؟! ... ربما ... إنه في آخر أيامه كان مخبولًا — كما شاع عنه — كثير الوحدة والشرود.

شهريار: ولذلك استحق أن يموت!

اللص النحيف: يا لك من جريء! ... تقتل الملك وتسرق تاجه؟! تعالَ معي تعالَ!

شهريار: إلى أين؟

اللص النحيف: أقدِّمك إلى جماعتنا.

شهريار: جماعتكم؟ ... من أنتم؟

اللص النحيف: جماعة محترمة ... ستسر بك وتسر بها ... من كان في مثل جرأتك وطموحك يجد دائمًا بينها مكانه اللائق (يسحبه ويخرج به).

(يظهر من الجهة الأخرى رجلان؛ أحدهما يرتدي فاخر الثياب، وتبدو عليه السلطة والسطوة هو شيخ المنسر، والثاني يمشي إلى جواره وبيده كتاب هو مستشاره العلَّامة.)

العلامة: إنها صفحة واحدة فقط لا غير ... بسيطة جدًّا.

الشيخ: لا ... لا ... قلتُ لك لا تقرأ لي من كتب ... اشرح لي فقط شفويًّا ... ووضِّحْ.

العلامة: تسمح لي أولًا أسألك عما سبق شرحه بالأمس؟

الشيخ: ما شاء الله! ... تريد أن تمتحنني؟

العلامة: لا ... العفو يا مولانا؛ إنه مجرد تنشيط للذاكرة.

الشيخ: تكلم أنت كما تريد ... وأنا أسمع.

العلامة: أخشى أن يكون كلامي غير مفهوم.

الشيخ: تقصد أني حمار؟!

العلامة: العفو ... العفو! ... أقصد أني ربما أكون قصَّرت في توضيح المقصود.

الشيخ: هذا شأنك أنت ... أما أنا فقد وعدتك بالاستماع.

العلامة: لا يكفي الاستماع ... يجب أن تكون فاهمًا ومقتنعًا.

الشيخ: أنا فاهم ومقتنع.

العلامة: ولكنك في أول الأمر لم تكن تهضم ما أقول.

الشيخ: كنت أستغرب كلامك ... أنت الوحيد بيننا الذي يحسن القراءة والحساب، ونُولِيك ثقتنا في جرد المغانم وإجراء التوزيع ... ذراعي اليمنى وموضع سرِّي ... ولكن من يوم أن ذهبتَ إلى المدينة وعدتَ بهذا الكتاب وأنت لا تكفُّ عن هذه الأفكار.

العلامة: هذه الأفكار ستنقلنا من مجرمين إلى مصلحين!

الشيخ: المهم عندي عدم المساس بي ... خروفي الذي أتعشى به ... نصيبي الذي أدخره ... ثيابي الحرير ... فراشي الوثير ... حصاني ... حريمي ... سيوفي ...

العلامة: اطمئن ... اطمئن ... ما من شيء سينقص ... كل ما هو لك سيبقى على حاله.

الشيخ: إلا لقبي؛ فلن أكون شيخ منسر، بل يجب أن أكون ... ماذا؟ ماذا قلتَ؟

العلامة: زعيم حزب.

الشيخ: وهو كذلك ... لكن ... أتظن كلمة «حزب» هذه لها من القوة والسطوة ما لكلمة «منسر»؟

العلَّامة: قلت لك إن القوة يجب أن تختفي خلف المبدأ ... والمبدأ ... والمبدأ هو أننا نأخذ مال الأغنياء؛ لنعطي الفقراء.

الشيخ: وهل سنعطي الفقراء؟

العلَّامة: هذه مسألة تُبحث فيما بعدُ.

الشيخ: لا ... اسمع ... لا بد من حسم الموضوع الآن؛ رجالنا كما تعلم لن يقبلوا تعريض رقابهم ليُعطوا غيرهم مغانمهم.

العلامة: المهم الآن أن نعطي الجميع أسماء جديدة؛ فهم ليسوا رجال منسر؛ بل أعضاء حزب!

الشيخ: والسرقة؟ ... ماذا نسميها؟

العلامة: جباية ... ألم نتفق على ذلك؟

الشيخ: نعم ... جباية ... والحرامي؟

العلامة: مُحصِّل.

الشيخ: مضبوط.

العلامة: ولن نُظهِر سلاحًا، بل يذهب المحصل إلى القرى، ويعلن أهلها بدفع الإتاوة، وإلا قطع عليهم الماء، هم ومواشيهم.

الشيخ: على ذلك ستكون الحصيلة هنا أكبر.

العلامة: بالطبع؛ لأنها ستكون أشمل ... لذلك يجب تشجيع الناس على الدفع بالتلويح لهم بخدمات.

الشيخ: خدمات؟

العلامة: ضروري ... وإلا كانت سرقة!

الشيخ: سرقة؟! ... حاشا لله!

العلامة: الآن أنت فهمتَني.

الشيخ: وكم تُقدَّر هذه الخدمات؟

العلامة: حسب الإيراد ... فليكن النصف مثلًا.

الشيخ: النصف؟! نصف الإيراد؟ ... أنت مجنون؟!

العلامة: وما الضرر؟ نصيبك أنت سيظل على حاله — كما اتفقنا — لن يُمس، والباقي يوزَّع على الأعضاء المحترمين.

الشيخ: وإذا تذمروا وثاروا؟

العلامة: لن يفعلوا؛ لأنهم لن يعلموا ولن يفهموا ... كل الحسابات في يدي ويدك ... وأنت المتصرف طبعًا. ولك أن تنفق بسخاء؛ لتؤكد صفتك كزعيم حزب بدلًا من زعيم عصابة ... وبذلك بدلًا من أن يتعرض رأسك للمشنقة، قد يقام لك تمثال!

الشيخ: وأين كانت غائبة عنا هذه الأفكار؟!

العلامة: الجهل.

الشيخ: كل هذا عندك في الكتاب؟

العلامة: وأكثر منه. العلم نور ... والنور يجعل الأسود أبيض.

الشيخ: إذن كنا شرفاء ونحن نجهل!

العلامة: الفرق بيننا وبين الشرفاء هو نصف الإيراد.

الشيخ: لعنة الله على الجهل! كنا نسمي أنفسنا عصابة، ويقال عنا منسر! ... يا للخزي والعار!

العلامة: لكن مع ذلك ... يجب أن نفطن إلى نقطة هامة ... نحن لسنا وحدنا.

الشيخ: ماذا تقصد؟

العلامة: هناك أناس غيرنا سبقونا في الكار ... وينافسوننا في المضمار ... ولن يعترفوا لنا بهذه الأوضاع الجديدة!

الشيخ: من هم؟

العلامة: أولهم الملك شهريار ودولته وجنده ... إنه يجمع قبلنا هذا الإيراد، ويملأ به خزائنه.

الشيخ: وهل هو يدفع للناس نصف الإيراد مثلنا؟

العلامة: لا بد أنه يدعي ذلك.

الشيخ: نزايد عليه.

العلامة: جنده أقوى من رجالنا ... ثم إنه سيعتقد أنك ترمي إلى إسقاطه عن العرش والجلوس مكانه.

الشيخ: والله فكرة!

العلامة: لا ... لا ... انتظر ... نحن في أول الطريق. لا ينبغي أن تطيح برءوسنا الأحلام.

الشيخ: صدقت ... فلنقنع الآن بلقب زعيم حزب.

العلامة: وحتى هذا اللقب ما زال أمامنا شوط طويل كي نثبتك فيه.

الشيخ: على بركة الله!

(يظهر اللص النحيف وهو يحمل العمامة المرصعة ويسحب شهريار.)

اللص النحيف (صائحًا): مولانا ... يا مولانا!

الشيخ: ماذا تريد؟

اللص النحيف: حدث خطير! ... كنت أبحث عنك في كل مكان.

الشيخ: تكلم!
اللص النحيف: هذا الرجل ... فعل ما لم يفعله أحد!
الشيخ: ماذا فعل؟
اللص النحيف (يقدم العمامة المرصعة)**:** هذه ...
الشيخ (يتناول العمامة ويفحصها)**:** عمامة مرصعة! ... هذه جوهرة لا مثيل لها! (للعلامة) انظر!
العلامة (فاحصًا)**:** هذه لا يمكن أن تكون إلا لملك!
اللص النحيف: إنها عمامة الملك شهريار.
الشيخ: ماذا تقول؟!
اللص النحيف: هذا الرجل قتل الملك شهريار، وسرق عمامته هذه.
الشيخ: قتل الملك؟!
اللص النحيف: ودفن جثته ... وأنا الذي ضبطته.
الشيخ (لشهريار)**:** أنت؟! أنت فعلت هذا؟!
شهريار: نعم.
الشيخ: قتلتَ الملك شهريار؟!
شهريار: نعم ... قتلتُه.
اللص النحيف: قتله بيده خنقًا.
الشيخ: اسكت أنت ... دعه هو يتكلم.
العلامة (يفحص العمامة والجوهرة مليًّا)**:** ما من شك أنها عمامة شهريار وجوهرتها المشهورة ... لا توجد في البلاد كلها جوهرة في حجمها.
الشيخ (لشهريار)**:** وأين كان الملك ساعة قتلتَه؟
شهريار: كان يهيم في البراري.
الشيخ: وحاشيته؟
اللص النحيف: كان وحده؛ لأنه مخبول!
الشيخ: قلت لك اسكت أنت.
اللص النحيف: هو الذي قال لي ذلك.
الشيخ (لشهريار)**:** وهل كنت تعرف الملك من قبل؟
شهريار: كنتُ من أتباعه.
الشيخ: وسرتَ معه في البراري ثم قتلتَه؟!

شهريار: نعم.
الشيخ: وماذا ستفعل الآن بعد أن قتلتَه؟
شهريار: أريد أن أحيا حياة جديدة.
الشيخ: بأن تبيع جوهرته، وتحيا بثمنها حياة رغدة؟
شهريار: ...
الشيخ: لماذا لا تجيب؟ على أي حال ... هذا واضح.
اللص النحيف: أنا الذي ضبطته وجئت به ... ألا أستحق مكافأة؟
الشيخ: مكافأة على ماذا؟
اللص النحيف: على ضمِّ هذا الرجل إلينا ... إنه يساوي عشرة رجال ... لم يسبق لأحد فينا أن قتل ملكًا وسرق تاجه!
الشيخ: اخرس!
العلامة: ألم ننبه عليكم ألف مرة أن تنسوا هذه الألفاظ؟!
الشيخ: لا ينفع فيهم تعليم! ... اذهب الآن واتركه لنا.

(اللص النحيف ينصرف تاركًا شهريار.)

العلامة (ينتحي بالشيخ ناحيةً): موقف دقيق!
الشيخ: أي موقف؟
العلامة: قاتِل الملك هذا ... ما هو التصرف معه؟
الشيخ: ما رأيك أنت؟
العلامة: دعني أفكر.
الشيخ: أما أنا؛ فالمسألة لا تحتاج عندي إلى تفكير ... إنه عضو نافع نستفيد من وجوده ... ألم تقل إن الملك سبقنا في الكار؟! هذا الرجل يعرف — ولا شك — أسراره وخفايا المملكة.
العلامة: نستبقي بيننا قاتلًا سارقًا؟!
الشيخ: فعلًا ... لا يصح!
العلامة: اللهم إلا إذا كان في نيته أن يعطي الناس نصف الإيراد!
الشيخ: بسيطة ... اسمع يا هذا ... ألم يكن في نيتك إعطاء الناس نصف إيرادك من السرقة؟
شهريار: لا.

الشيخ: تقول لا؟! يا مغفل، افهم! إذا كنت تريد الجوهرة كلها فأنت لص حقير ... وإذا كنت تعطي الناس نصفها فأنت عضو محترم ... ماذا تختار؟

شهريار: أعطيها كلها للناس.

الشيخ: خيَّبك الله!

العلامة: هذا الرجل كذاب منافق.

الشيخ: بدون شك.

العلامة: أو إنه أمهر مما نظن ... هل تعرف القراءة؟

شهريار: نعم.

العلامة: وتقرأ الكتب؟

شهريار: نعم.

العلامة (للشيخ)**:** جاءك كلامي؟! هذا الرجل ذكي بارع!

الشيخ: يريد أن يزايد علينا!

العلامة (لشهريار)**:** إذا كان قولك هذا صحيحًا، وكنت تنوي التبرع بكامل الجوهرة، فلماذا إذن قتلتَ الملك؟

شهريار: لأسباب أخرى.

العلامة: أسباب أخرى؟! ما هي؟!

شهريار: هي ... هي أني ... أحب الملكة.

العلامة: شهرزاد؟! تحبها؟ ... أنت؟!

شهريار: كان هو يحول بيني وبينها.

الشيخ: يا للأحلام!

العلامة: جريمة عاطفية!

الشيخ: على كل حال ... ما دام لا يريد هو هذه الجوهرة، فلنحتفظ بها نحن في خزائننا.

العلامة (لشهريار)**:** وهل كانت هي تُبادلك العاطفة؟

شهريار: لستُ أدري.

العلامة: إذن كان دافعك الغيرة ... أو اليأس؟

شهريار: اليأس.

الشيخ: ما دامت الحكاية من هذا القبيل، أظن لا يوجد شيء مخلٌّ بالشرف يمنع من انضمامه إلينا!

العلامة: أظن ذلك.
الشيخ: عليك إذن باتخاذ الإجراءات؛ لتقديمه إلى أعضاء المنسر ... أقصد أعضاء الحزب.
العلامة: وإذا أذنتَ فإني أجعله مساعدًا لي؛ بما أنه يعرف القراءة.
الشيخ: على بركة الله!

(يظهر اللص النحيف مهرولًا.)

اللص النحيف (يصيح)**:** حدث خطير!
الشيخ: ماذا أيضًا؟!
اللص النحيف: أخبار مهمة ...
الشيخ: تكلم.
اللص النحيف: جاءت إخبارية بأن قافلة كبيرة للملك شهريار ستمر قبيل الفجر ... محملة بذهب كثير.
الشيخ: عليها حرس؟
اللص النحيف: إخباريتنا تقول إن الحرس قليل جدًّا.
الشيخ: فرصة.
العلامة: المهم الحرص على تفادي سفك الدماء.
الشيخ: طبعًا. طبعًا ... ونصف الإيراد يذهب إلى الشعب!
اللص النحيف: هل نجمع الأعضاء ... المحترمين؟
الشيخ: نعم ... المحترمين ... في الحال.

(اللص النحيف يذهب مسرعًا.)

العلامة (لشهريار)**:** أنت الآن أصبحت منا.
الشيخ: وجاء وقته ... وكما قلت ... معلوماته عن شهريار ومملكته ستفيدنا في هذه العملية.
العلامة (لشهريار)**:** ما رأيك؟ هذا أول عمل تشترك معنا فيه.
شهريار: السطو على قافلة شهريار!
الشيخ: موافق؟
شهريار: وكيف لا أوافق؟! هذا شيء يسرني جدًّا، وأراه في غاية الطرافة!

العلامة: فقط يجب أن تفهم أننا لا نسمي ذلك سطوًا.

شهريار: سمُّوه ما شئتم ... هذا لا يهمني.

الشيخ: لا ... نحن تهمُّنا مسألة الشرف.

شهريار: وأنا لا تهمني الأسماء.

العلامة: على كل حال ... أنت عندنا الآن عضو محترم ... وعلى فكرة ... ماذا كان وضعك في الحاشية؟

شهريار: كنتُ مع شهريار.

العلامة: مفهوم ... لكن ماذا كان عملك بالضبط؟

شهريار: كنت ... جلاده.

العلامة: كنت جلاد شهريار؟! أنت الذي كنت تقطع رءوس العذارى؟!

شهريار: نعم.

الشيخ: انظر وحشية هذا الملك! ... هل أستطيع أنا فعل ذلك؟! أنا الذي يقال عني شيخ منسر؟! انظر الجواري عندي كيف أعاملهن بالإعزاز والرقة والتدليل.

شهريار: إنه هو أيضًا لم يكن يسمي القتل قتلًا!

الشيخ: ماذا كان يسميه؟

شهريار: الختام الوردي.

الشيخ: الوردي!

شهريار: نعم. ختام لحظة سعادة لن يجود بمثلها العمر.

الشيخ: لحظة سعادة؟!

شهريار: هذا هو نص اعتراف العذراء نفسها ... كل عذراء.

العلامة: أوَسمعتَ ذلك بنفسك؟!

شهريار: بأذني هذه ... تحب أن أريكم ما كنت أسمع وأرى كل ليلة؟

الشيخ: أرنا هذا.

شهريار: عند الفجر — كل فجر — كان الملك شهريار ينادي عليَّ، فأدخل بسيفي وأقف قرب الفراش ... هكذا ... (يمثل وقفته) وكان الملك يقول للعذراء ... وهو يتثاءب هكذا ... (يتثاءب): كيف كانت ليلتُكِ يا جميلة؟ فتجيب وهي تسيل رقةً هكذا (يُرقِّق صوته): ليلة لن يجود بمثلها الزمان يا مولاي.

شهريار (ممثلًا الملك)**:** أكنتِ تتخيلين متعةً مثل هذه المتعة؟

شهريار (ممثلًا العذراء)**:** ما من خيال يا مولاي يستطيع تصوُّر هذه المتعة!

شهريار (ممثلًا الملك): أيمكن أن تظفري في قابل عمرك بمثل ما ظفرتِ به الليلة؟
شهريار (ممثلًا العذراء): مستحيل يا مولاي ... عمري بدأ الليلة وانتهى الليلة.
شهريار (ممثلًا الملك): أليس لكِ حُلم آخر في الحياة؟
شهريار (ممثلًا العذراء): لا يا مولاي ... حلمي الجميل تحقق وانتهى، ولا قيمة للحياة بعده.
شهريار (ممثلًا الملك): إذن ستكون حياتك بعد الليلة شقاء؟
شهريار (ممثلًا العذراء): وأي شقاء!
شهريار (ممثلًا الملك): وهل أنا بهذه القسوة حتى أتركك لهذا الشقاء؟
شهريار (ممثلًا العذراء وهي تكفكف دمعها): أنت رحيم القلب رقيق العاطفة.
شهريار (ممثلًا الملك): هذا الدمع على خدك الآن كنَدى الفجر على خد الوردة ... ولا شيء أقسى على الوردة من أن تُترك لتذبل عند انتصاف النهار.
شهريار (ممثلًا العذراء): لا تكن — يا مولاي — قاسيًا عليَّ.
شهريار (ممثلًا الملك): شُلَّت اليد التي تقسو عليكِ! لن أتركك أيتها الوردة الجميلة إلى أن ينتصف النهار!
شهريار (ممثلًا العذراء): ترفَّق يا مولاي! وامنحني عطفك وكرمك.
شهريار (ممثلًا الملك): اطمئني! ستنالين ما تمنيتِ ... وخير ما تتمنى الوردة أن تُقطف والندى على خدها! أليس هذا مطلبك الآن؟
شهريار (ممثلًا العذراء): نعم يا مولاي.
شهريار (ممثلًا الملك): وأنا لن أؤخر لك طلبًا ... يا سياف!
شهريار (ممثلًا الجلاد): لبيكَ يا مولاي ... لبيكَ!
شهريار (ممثلًا الملك): سمعتَ ما طلبتْ هذه الوردة اليانعة؟
شهريار (ممثلًا الجلاد): سمعتُ يا مولاي!
شهريار (ممثلًا الملك): إذن نفِّذ طلبها! فإن طلبها أمر يجب أن يطاع.
شهريار (ممثلًا الجلاد وهو يطيح برأس العذراء): سمعًا وطاعةً يا مولاتي الصغيرة!
الشيخ: ما شاء الله ... ما شاء الله! ... وكل عذراء كانت تقول ذلك؟!
شهريار: كلهن.
العلامة: وكل واحدة كانت تُعلن هذا الاعتراف؟! وتطلب هذا الختام الوردي؟!
شهريار: كل واحدة.
العلامة: وهن ينظرن بالطبع إلى سيفك اللامع!

شهريار: أظن.

الشيخ: وأين سيفك هذا الذي كنت تقطف به الورد؟!

شهريار: تصرفتُ فيه ... بعته ... بعد ظهور شهرزاد انقطع وارد العذارى كما تعلمون ... وأحِلْتُ إلى المعاش ... إلى التقاعد والعطل.

العلامة: وشهرزاد ... كيف سَلِمَت من هذا ... الختام الوردي؟!

شهريار: شهرزاد وردة عجيبة! طلع عليها الفجر ولم يبتلَّ خدها بالندى! وظل شهريار ينتظر من فجر إلى فجر، وهي منتعشة بغير ندًى، متفتحة لا تذبل أبدًا.

الشيخ: على ذكر شهرزاد ... أظنها هي التي ستحكم البلاد الآن ... بعد موت شهريار.

شهريار: طبعًا ... وهي خير من يحكم.

الشيخ (يبرم شواربه)**:** امرأة بلا رجل! هل تستطيع أن تحكم الرجالَ بمفردها طويلًا؟

العلامة (هامسًا)**:** أفهم قصدك يا مولانا!

الشيخ: عارف أنك فاهم قصدي.

العلامة: رأيي أن نتريث ... وأن نفكر في الواقع ... وفيما هو بالإمكان ... كل ما يجب أن يهمنا الآن من شهرزاد هو ذهبها الكثير؛ لندعم الحزب ... كل شيء يأتي خطوةً خطوةً.

الشيخ: مفهوم ... مفهوم.

العلامة: لنبدأ بوضع خطة الهجوم.

الشيخ: إذن اسأل أولًا هذا العضو الجديد المحترم عن معلوماته.

العلامة (لشهريار)**:** قل لنا ... في مثل هذه القوافل المحملة بالذهب ... أي نوع من الجند يحرسها؟ جند حرب أو جند أمن؟

شهريار: سيان ... اطمئنوا ... جند شهريار مثله.

الشيخ: وأنت؟

شهريار: أنا الآن أريد أن أكون شيئًا آخر.

الشيخ: إذن نعطيك سيفًا وتكون في المقدمة.

شهريار: أنا؟!

الشيخ: ولِمَ لا؟ أليس هذا أكرم من قطع رءوس العذارى؟!

شهريار: ولكني لم أحمل السيف من مدة طويلة.

الشيخ: تتمرَّن من جديد.

شهريار: لقد تبتُ إلى الله من حمل السيوف.

الشيخ: ولم تتب إلى الله من الخنق بيديك؟!

شهريار: تلك كانت مرة ولن تعود.

العلامة: دعه يا مولانا، ولنحترم رغبته ... تكفينا منه المعاونة في مجالات أخرى ... ربما كانت أهم... (ثم يوجِّه الكلام لشهريار) أقسِم لنا فقط الآن تكون واحدًا منا، مطيعًا لإشارتنا مخلصًا لمبادئنا.

شهريار: مبادئكم؟!

الشيخ: ولماذا تقولها باستغراب؟! نعم مبادئنا.

شهريار: أنا الآن لا أؤمن بمبادئ.

الشيخ: أعوذ بالله! (لمستشاره العلامة) سامع؟!

العلامة (لشهريار)**:** عجيبة! رجل ذكي متنور مثلك يقول هذا الكلام؟!

شهريار: الحقيقة أقولها ... ربما لآخر مرة: لا أستطيع اليوم أن أؤمن بشيء ... وإلَّا لما فعلتُ ما فعلتُ ... ولما كنتُ هنا ... ولما تشرفتُ بمعرفتكم!

العلامة: وهل طلب أحد منك أن تؤمن؟ المطلوب فقط أن تنادي بمبدأ ... مجرد مناداة ... مجرد شعار.

شهريار: فقط؟!

العلامة: لن يطلب أحد منك أن تؤمن بشيء ... المطلوب منك فقط أن تهتف بشعار ... أن تنادي بمبدأ ... مجرد مناداة ... فقط! ... بشعار.

شهريار: فقط؟!

العلامة: وأن تحمل أي راية نحملها، وترتدي أي رداء نرتديه ... وقد وجدنا نحن مبدأ وارتديناه بسهولة.

الشيخ: أهذا شيء صعب؟!

شهريار: أبدًا ... سهل جدًّا ... وبمناسبة الراية ... هل لكم نشيد؟

الشيخ: طبعًا ... نشيدنا معروف ... ألم تسمع به؟

شهريار: لا.

الشيخ (يُنشد)**:**

نحن منسر من نار
نحمل السيف البتار

من يقف في وجهنا
نبتليه بالدمار.

العلامة: أظن — يا مولانا — هذا النشيد لم يعد يصلح لمبادئنا الجديدة.
الشيخ: أترى ذلك؟
شهريار: فعلًا لا يصلح ... خطرَ لي الآن نشيد.
الشيخ: ما هو؟
شهريار (يُنشد):

نحن أصحاب المبادئ!
نحن حراس الشرف
من يقل إنا لصوص
نبتليه بالقرف!

(ستار ويظهر المؤلف والحمار)

الحمار: وهنا بالطبع تنزل الستار!
المؤلف: شيء جميل!
الحمار: ما قولك في تفكيري؟ ألم أستخرج من ألف ليلة وليلة ما لم تفكر أنت فيه؟
المؤلف: أنت عبقري!
الحمار: لولا التواضع المعروف في فصيلتنا، لقلتُ إني أوسع منك خيالًا وأصدق منك فكرًا.
المؤلف: هذه قضية نتركها للتاريخ.
الحمار: التاريخ بطيء الحكم.
المؤلف: ربما لأنه أحيانًا بطيء الفهم.
الحمار: مثلك!
المؤلف: شكرًا!

١٩٦٩/٣/١٨م

الحمار يؤلف

(مكتب المؤلف ... والمؤلف جالس يخط بقلمه على الورق ... يدخل عليه حمار.)

الحمار: تؤلِّف مسرحية جديدة؟

المؤلف: ابعد عني!

الحمار: ما هو موضوعها؟

المؤلف: قلت لك ابعد ... لا أحب التشرف بمعرفتك بعد اليوم!

الحمار: ما الذي حصل؟!

المؤلف: أرجوك! ... أنا مشغول.

الحمار: ألن تُدخلني في المسرحية الجديدة؟

المؤلف: حاشا لله! ... تُبْتُ إلى الله أُدخلك فيما أكتب!

الحمار: وما السبب؟

المؤلف: وجودك يسبب لي مشاكل!

الحمار: وجودي؟!

المؤلف: نعم ... وجودك ... كل واحد يظن أنه هو المقصود!

الحمار: يا للادعاء!

المؤلف: تسمح وتتركني بمفردي؟

الحمار: وكيف ستؤلف إذن؟!

المؤلف: لا أدري ... هل عندك اقتراح؟

الحمار: يظهر أن الناس اليوم تترك السطور، وتقرأ ما بين السطور!

المؤلف: وما العمل؟

الحمار: دعني أنا أؤلف لك.

المؤلف: أنت؟!

الحمار: امسك بقلمك وأنا أُملي عليك.

المؤلف: ماذا ستقول؟

الحمار: كلامًا لا رأس له ولا ذنَب!

المؤلف: كلام لا معنى له؟

الحمار: الكلام الذي لا معنى له يكون أحيانًا له معنى!

المؤلف: عُدنا إلى المشاكل!

الحمار: ما هو طلبك إذن؟

المؤلف: مسرحية بسيطة بريئة ... ولتكن مقطوعة الرأس والذنَب!

الحمار: عن الحالة الحاضرة؟

المؤلف: لا ... أبدًا.

الحمار: ولماذا نكتبها إذن؟

المؤلف: للترفيه عن نفسي.

الحمار: إذا كان الأمر كذلك فهذا سهل.

المؤلف: عندك موضوع ترفيهي؟!

الحمار: موجود ... اكتب ... لا أعرف بعدُ كيف تبدأ المسرحية ولا كيف تنتهي! ... ربما أعرف قليلًا كيف تبدأ ... إني أتصور — مثلًا — مكتب رجل مليونير ... رجل أعمال ... مقاول مثلًا ... عنده طائفة من الموظفين والموظفات ... إنه هو أيضًا مثلك يريد الترفيه لا عن نفسه فقط ... ولكن عن ... سنعرف ذلك فيما بعد ... العجيب في الأمر أنه ألَّف من موظفيه وموظفاته فرقة غنائية راقصة أسماها فرقة «البلابل الذهبية» ... كتبتَ؟

المؤلف: أكتب ماذا؟

الحمار: هذا المنظر الذي قلتُه لك الآن ... وسأملي الحوار حالًا ... على فكرة ... الحوار يكون بالفصحى المبسطة على طريقتك أو بالعامية؟ أظن العامية هنا أنسب ما دام الغرض الترفيه والتهريج!

المؤلف: عليكَ أنت اختيار الأنسب.

الحمار: فلتكن العامية لأشخاص المسرحية، حتى لا يختلط حديثهم المهزأ بحديثنا نحن المهذب ... أقصد أنا وأنت!

المؤلف: ابدأ وخلصني!

الحمار: اكتب يا سيدي ... كتبت؟
المؤلف: أنا في الانتظار.
الحمار: تبدأ المسرحية هكذا ... مكتب المليونير مبهرج مزخرف ... المكان خالٍ لا أحد فيه ... تدخل السكرتيرة تحمل آنية بها زهرة ياسمين ... وخلفها يدخل الموظفون والموظفات — أي فرقة البلابل — بآنيات زهر الياسمين، وهم في غناء وشبه حركات راقصة على مطلع لحن سيد درويش:

يا ورد على فل وياسمين
اليوم يوم الياسمين
وبكره حايكون يوم الفل
والسعد بكره يعم الكل.

ثم يخرجون جميعًا، وتبقى السكرتيرة ... فيدخل عليها رجل نصف صعلوك، وهو ينظر بدهشة إلى الفرقة الخارجة بحركاتها الراقصة.

(كل هذا الذي أملاه الحمار ويمليه يتجسد إخراجًا وتمثيلًا على المسرح ... أي أن المسرحية التي يمليها على المؤلف المُنكبِّ على الورق يكتب، تظهر مُخرَجةً مُمثَّلةً أمامهما.)

المؤلف (ناظرًا إلى الرجل)**:** هذا الرجل نصف الصعلوك ما دخله هنا؟ ... أهو المليونير؟
الحمار: أهذا شكل مليونير؟! اصبر يا أخي ... وانتظر حواره وأنت تعرف ... ها هو يتكلم.
الصعلوك: هو هنا مش مكتب المليونير؟
السكرتيرة: وحضرتك مين؟
الصعلوك: أنا اللي قالوا لي ادخل هنا.
السكرتيرة: روح هناك.
الصعلوك: أنا جاي من هناك.
السكرتيرة: امتحنوك؟
الصعلوك: ونجحت في الامتحان.
السكرتيرة: نجحت؟! من بين ألف واحد؟! تقدم لنا ألف شخص ... نجحت من بين الألف؟!

الصعلوك: بامتياز.

السكرتيرة (تصافحه)**:** مبروك! تفضل استريح.

الصعلوك (ينظر حوله)**:** إيه ده؟! في كل حته ياسمين ياسمين ياسمين؟!

السكرتيرة: إنت عارف النهارده يوم إيه؟

الصعلوك: النهارده الجمعة.

السكرتيرة: غلط.

الصعلوك: يعني أنا ماعرفش النهارده يوم إيه؟!

السكرتيرة: النهارده اسمه يوم الياسمين، وبكره يوم الفل، وبعده يوم النرجس، وبعده يوم الورد، ثم يوم القرنفل ... وهلم جرا ... النتيجة الرسمية بتاعتنا هنا كده ... فهمت؟!

الصعلوك: دا شيء جميل!

السكرتيرة: أمال امتحنوك هناك في إيه؟

الصعلوك: امتحنوني في النباهة والذكاء.

السكرتيرة: معقول ... المليونير محتاج دايمًا لواحد ذكي نبيه حلَّال العُقَد ... لازم على كدا امتحنوك في مسألة صعبة؟

الصعلوك: جدًّا.

السكرتيرة: ممكن أعرف موضوع الامتحان؟

الصعلوك: هي مسألة واحدة ما فيش غيرها ... قالوا لي: واحد حط خمسين بيضة في خمسة أقفاص، يبقى كل قفص فيه كام بيضة؟

السكرتيرة: قلت لهم إيه؟

الصعلوك: قلت لهم يبقى مغفل ... لأن الخمسة أقفاص حايقدر يشيلهم ازاي؟! واجب عليه يحط البيض كله في قفص واحد ويخلص، وتبقى شيلة واحدة بالمرة!

السكرتيرة: إنت ما سمعتش المثل اللي بيقول: ما تحطش البيض كله في قفص واحد؟!

الصعلوك: يعني إيه؟ يعني اللي عنده خمسين بيضة يحطهم في خمسين قفص؟! ... دا لازم اللي طلَّع المثل ده تاجر أقفاص!

السكرتيرة: جايز! ... وسألوك طبعًا تعرف تغني؟

الصعلوك: أغني؟!

السكرتيرة: إنت مش شُفت كل الموظفين هنا والموظفات في حالة غنا ورقص باستمرار بين الأزهار؟!

الصعلوك: هم سألوني أحب أسمع إيه؟ قلت لهم: نشيدنا القومي في المؤتمر العالمي آخر القرن الماضي سنة ١٨٩٩ ... قالوا: هو إيه؟ قلت لهم:

سبع بلابل
ورا الصفيحة
بيفلُّوا بعض!

السكرتيرة: وعلى كده نجحت؟!

الصعلوك: بامتياز.

السكرتيرة (تصافحه)**:** مبروك مرة ثانية.

الصعلوك: متشكر.

السكرتيرة: بس واجب أفهِّمك إيه المطلوب منك هنا ... المليونير عنده قبلك واحد اسمه «لهلوبة». مافيش طلب إلا وينفذه في الحال. مثلًا في يوم كان المليونير مالوش مزاج، قال: «يا لهلوبة هات لي حالًا واحد يضحَّكني»، غطس وقب بواحد خلاه يسخسخ من الضحك. وفي يوم قلق على المستقبل قال له: «هات لي واحد يقرأ لي الكف»، غطس وقب بمُنجِّم عجيب شاف له اللي حايحصل بعد ساعة وحصل. وفي يوم قال: «يا لهلوبة برغوت قرصني وهرب في السجاجيد، هات البرغوت ده حالًا بذاته وشخصه حي يُرزق»، غطس لهلوبة وقب بالبرغوت ... وفي يوم ...

الصعلوك: كفاية ... ولهلوبة ده راح فين؟

السكرتيرة: استلفه واحد مليونير أجنبي، كان عازم في اليخت بتاعه المليونير بتاعنا ... ورفض يرده.

الصعلوك: يعني أنا دلوقت بدل لهلوبة ده؟!

السكرتيرة: تمام كده.

الصعلوك: عظيم.

السكرتيرة: يبقى لازم تكون مستعد لو طلب منك ...

الصعلوك: لو طلب مني لبن العصفور لازم أغطس وأقب به في الحال!

السكرتيرة: لبن العصفور؟ إزاي؟

الصعلوك: دي بسيطة ... أطلع على أي شجرة وأشوف عصفورة بترضع أولادها، أحلب لبنها في فنجان، وأقدمه له قبل ما يبرد ... وادي كل الحكاية!

السكرتيرة: برافو عليك ... إنت اسمك إيه؟

الصعلوك: خلي اسمي أنا كمان لهلوبة!

السكرتيرة: معقول ... عرفت بقى يا لهلوبة اختصاصاتك؟

الصعلوك: عرفتها.

السكرتيرة (تتسمَّع إلى ضجيج يقترب)**:** أهو المليونير وصل ... صلِّح نفسك بقى قبل ما تقابله.

(الصعلوك يُصلِح من هندامه بسرعة وارتباك.)

المؤلف (للحمار الذي يُملي)**:** انتظر لحظة من فضلك ... قبل أن يدخل المليونير ... اشرح لي أولًا ما هو المقصود من هذا الشخص الذي امتحن في الذكاء مثل هذا الامتحان ونجح بامتياز؟!

الحمار: أتريد أن تتكلم في المقصود وغير المقصود؟

المؤلف: مجرد استفسار.

الحمار: ألم نتفق على البُعد عن الاستفسار والتفسير؟

المؤلف: فعلًا اتفقنا على الابتعاد عن ذلك.

الحمار: أنت طلبت مني مسرحية لمجرد الترفيه عن مزاجك، فاتركني إذن أؤلف لك على مزاجي.

المؤلف: تفضل!

الحمار: قطعتَ حبل أفكاري ... أين كنا؟

المؤلف: كنا في انتظار دخول المليونير.

الحمار: آه ... اكتب ... يدخل في حركة سريعة بكل نشاط ... وفي عروة سترته باقة صغيرة من زهرة الياسمين ... ويُلقي التحية للسكرتيرة.

المليونير: صباح الياسمين!

السكرتيرة: صباحك ياسمين.

المليونير: كل شيء ماشي صح؟

السكرتيرة: صح.

المليونير: وفرقة بلابلنا المدهشين من موظفات وموظفين ...؟

السكرتيرة: عملوا البروفات من غنا ورقص حسب التعليمات.
المليونير: هايل ... هايل ... قدامنا مشروعات وحاجات.
السكرتيرة: البركة في أفكاركم العظيمة!
المليونير (يلتفت إلى وجود الصعلوك): ومين اللوح ده؟!
الصعلوك (لنفسه): اللوح؟!
السكرتيرة: دا اللي نجح في الامتحان ... لهلوبة الثاني!
المليونير (يفحصه بنظرة ثاقبة): آه ... لهلوبة.
الصعلوك: في خدمتك يافندم!
المليونير: نجحت في الامتحان؟
الصعلوك: بامتياز.
المليونير: هايل ... هايل ... ندخل في الشغل على طول ... أنا عندي فكرة هايلة ... إنسانية اجتماعية ... اسمع يا لهلوبة ... إنت تعرف أوناسيس؟
الصعلوك: مين؟
المليونير: خريستوطاليس أوناسيس ...
الصعلوك: آه ... دا واحد رومي ده.
المليونير: طبعًا ... الاسم ده لازم يكون كده. حايكون إيه؟ تعرفه ولَّا ماتعرفوش؟
الصعلوك: أعرفه ... ما اعرفوش ازاي؟
المليونير: هو فين دلوقت؟
الصعلوك: بقَّال في حتتنا ... عنده جبنة رومي كويسة!
المليونير: لكن أنا أعرف إن عنده يخت في البحر.
الصعلوك: يخت في البحر؟! ماقلِّناش على حاجة زي دي! ... ومع ذلك جايز ... ليه لأ ... البضاعة بتيجي له من أثينا.
المليونير: وأعرف كمان إنه بيعزم على اليخت ده كل عظماء وأغنياء وكبراء العالم.
الصعلوك: لا بقى ... أهو دا اللي مش ممكن أبدًا.
المليونير: دا شيء مؤكد.
الصعلوك: يبقى لازم مش بقال ... بالفطانة كده.
المليونير: هو على العموم عنده يخت في البحر ... وشغلته في البحر ... وعنده ثروة كبيرة من تجارة ...
الصعلوك: السفنج.

المليونير: لا ... لا ... سفنج إيه؟!

الصعلوك: السردين.

المليونير: لا مش سردين ... مش دا المهم ... المهم صنف المعازيم.

الصعلوك: صنف إيه؟!

المليونير: المعازيم ... المعازيم اللي بيجمعهم على ظهر اليخت.

الصعلوك: بيتاجر في صنف المعازيم؟!

المليونير: لا ... لا ... مش بيتاجر ... بيجمع ... بيختار ... بيكرم ... بيطعم ... بيبسط ... بيرفَّه ... بيفسَّح ... مين؟ كل عظماء وكبراء وأغنياء العالم ... تصوَّر!

الصعلوك: دا شيء عظيم!

المليونير: إنت كمان موافق على كده؟!

الصعلوك: موافق على إيه؟

المليونير: على إنه يعزم عظماء وكبراء وأغنياء العالم؟!

الصعلوك: أمال يعزم مين؟ هلافيت وحرافيش وشراديح العالم؟!

المليونير: إخص عليك ... وغد!

الصعلوك: وغد؟!

المليونير: وندل وعديم المروءة والإنسانية!

الصعلوك: ليه بس؟! ... أنا عملت إيه؟!

المليونير: لو كان عندك يخت، تعزم عظماء وأغنياء شبعانين متخومين من الأكل والشرب والنزه والنعيم ... دول محتاجين تعزمهم على اليخت بتاعك؟!

الصعلوك: قل لي حضرتك تحب أعزم مين؟

المليونير: تعزم المساكين الغلبانين.

الصعلوك: حاضر.

المليونير: أيوه ... لازم تعزم اللي بتقول عليهم هلافيت وشراشيح وحرافيش ... دول محتاجين للأكلة الطيبة والفسحة الحلوة.

الصعلوك: نعزمهم ... مافيش مانع!

المليونير: اسمع ... لازم يكون عندنا يخت ... نعزم عليه المحرومين الكادحين من فقراء العالم ... لازم اليخت ده يكون موجود ... إنت فاهم؟

الصعلوك: فاهم.

المليونير: خلاص ... إنت تغطس وتقب ...

الصعلوك: أغطس وأقب بإيه؟!

المليونير: باليخت.

الصعلوك: نعم؟! أغطس وأقب باليخت؟!

المليونير: حالًا.

الصعلوك (يلتفت إلى السكرتيرة المصغية)**:** عاجبِك كده؟!

المليونير: وعلشان أسهِّل لك الموضوع ...

الصعلوك: أيوه سهِّل لي اعمل معروف.

المليونير: أحب أقول لك إني طبعًا رايح أساهم في المشروع الخيري الإنساني ده.

الصعلوك: تساهم بكام؟

المليونير: أساهم بمجهودي ... في التوعية والدعاية اللازمة ... طبعًا أنا طول عمري رجل أعمال ... وعندي خبرة كبيرة في المسائل دي.

الصعلوك: والمشروع الإنساني ده يتكلف فلوس؟

المليونير: طبعًا ... من مليون إلى تلاتة مليون جنيه وأكتر.

الصعلوك: بس؟!

المليونير: من رأيي ... نبدأ في الأول بالحجم الصغير المعقول ... يعني نبدأ بمليون ... ولما المشروع يكبر نجمع فلوس أكثر.

الصعلوك: أيوه برضه نبدأ بمليون كفاية.

المليونير: خلاص ... زي ما قلت إنت ... نبدأ بالمليون ... روح بقى هات المليون.

الصعلوك: أنا؟!

المليونير: عندك اعتراض؟

الصعلوك: لا أبدًا.

المليونير: انتهينا ... تفضل ... تغطس وتقب بالمليون.

الصعلوك: آه ... أغطس و...

المليونير (ينظر في ساعته)**:** إنت لسه واقف؟! تحرك ... الوقت بيضيع عليك ... إنت طبعًا عارف تلقى المليون فين؟

الصعلوك: في الشارع طبعًا!

المليونير: الشارع؟!

الصعلوك: أمال حالقاهم فين؟! موجودة الملايين بره ... ملْو الشوارع!

المليونير: عجيبة!

الصعلوك (يتذكر): أي والله صحيح ... دانا كنت ناسي ... لقينا الطلب والحمد لله ... فيه دلوقت تلات أصحاب ملايين قاعدين تحت!

المليونير: تحت فين؟

الصعلوك: على القهوة اللي على ناصية الشارع ... قبل ما أدخل هنا قعدت على القهوة أعدل دماغي بفنجان سادة ... سمعت تلاتة جنبي بيتكلموا في الملايين اللي عندهم.

المليونير: وانت ضامن تلقاهم لسه قاعدين؟

الصعلوك: وحايروحوا فين؟ ... أهم ملطوعين!

المليونير: طيب انزل هاتهم هنا حالًا.

الصعلوك: من رأيي تنزل معايه ... تعاينهم بنفسك؛ لأجل تطمئن.

المليونير: يالله بنا.

(يخرجان معًا.)

المؤلف (للحمار الذي يُملي): يخرجان معًا؟ ... إلى أين؟

الحمار: صبرك يا أخي صبرك! ... أنت مُصرٌّ على قطع حبال أفكاري!

المؤلف: تقصد لجام أفكارك؟

الحمار: ابعد كلمة اللجام ... اللجام والتفكير لا يتفقان!

المؤلف: وهو كذلك ... استمر.

الحمار: ماذا كنت أقول ... وأُملي؟

المؤلف: كنتَ تقول إن المليونير وصعلوكه يخرجان معًا.

الحمار: نعم ... يخرجان معًا إلى الشارع ... حيث القهوة التي بها أصحاب الملايين ... أظن هذا يتمشى مع المنطق.

المؤلف: أرجوك ... لا تتحدث هنا عن المنطق!

الحمار: المهم أنهما الآن في الشارع ... وهناك يصادفان فتحة مجرور.

المؤلف: مجرور؟!

الحمار: نعم ... مجرور ... ألا تعرف المجرور؟ ألم تصادف شوارع مبقورة البطن، خارجة الأحشاء، والمطبات فيها منتفخة والمجاري منفتحة؟!

المؤلف: ما علينا ... نحن الآن في المجرور ... ماذا يحدث بعد ذلك؟

الحمار: قلت لك إن المليونير وصاحبه يصادفان في الشارع فتحة مجاري، يطل منها رأس عامل ... أليس هذا طبيعيًّا؟

المؤلف: وبعدين؟
الحمار: يستلفت هذا — بالطبع — نظر المليونير ... ويبدأ في السؤال ...
المليونير (ناظرًا إلى العامل في المجاري)**:** إيه ده؟ بيعمل إيه؟
الصعلوك: زي ما أنت شايف ... بيشتغل في المجاري.
المليونير: مجاري؟!
الصعلوك: أيوه ... أهو غارق في مجرور أوساخ ... قاذورات ... تحب تقف تتفرج؟
المليونير: وإيه اللي في إيده ده؟
الصعلوك: سماعة تليفون.
المليونير: تليفون في المجرور؟!
الصعلوك: وفيها إيه؟!
المليونير: وبيكلم مين بالتليفون؟ ... بيكلم القاذورات؟!
الصعلوك: بيحصل.
المليونير: بيحصل إيه؟
الصعلوك: فيه علاقة أحيانًا بين التليفونات والقاذورات.
المليونير (ينظر في الفتحة)**:** لكن دا يظهر بيصلح سلك تليفون في المجاري ... الراجل ده لازم مسكين قوي!
الصعلوك: طبعًا ... شوف بقى حال اللي شغله في مجرور!
المليونير (للعامل)**:** اسمع يا حضرة ...
العامل (يرفع رأسه من فتحة المجرور)**:** أفندم!
المليونير: إمتى آخر مرة أكلت فيها تفاح؟
العامل: تفاح إيه؟!
المليونير (للصعلوك)**:** فهِّمه قصدي.
الصعلوك (للعامل)**:** إنت مش سمعت عن حاجة اسمها تفاح؟
العامل: إنتم بتتكلموا في إيه يا حضرات؟!
الصعلوك: بنسألك عن التفاح.
العامل: إنتم شايفين عندي هنا تفاح؟!
الصعلوك: لا لا ... حضرته عاوز يدوَّقك التفاح ... عندك مانع؟
العامل: روح، الله يحنن عليك إنت وهو ... أنا لا بشتري تفاح ولا بادوق تفاح.
المليونير: آه مسكين ... شفت بقى ما بيدوقش تفاح!

الصعلوك (للعامل): علشان كده حضرته عاوز يدوَّقك التفاح.

العامل: يا سيدي ما باشتريش ... روحوا بيعوا للبهوات اللي على القهوة قدامكم ... أنا يادوب أشتري رغيفين وطبق فول للعيال.

المليونير: إحنا يا راجل مش بيَّاعين ... إحنا ...

العامل: إنتم فاضيين ورايقين ... تتريقوا على عباد الله!

المليونير: إنت مش فاهم قصدنا.

العامل: وبعدين بقى! ما تسيبونا نشوف شغلنا!

المليونير: طيب آخر مرة أكلت فيها ديك رومي كان إمتى؟

العامل: اللهمَّ صبِّرك يا روح!

الصعلوك: بيسألك عن الديك الرومي ... جاوب!

العامل: ديك رومي؟!

الصعلوك: أيوه ديك رومي ... محمر بالرز والخلطة ... يعني بالجوز واللوز والصنيبر والزبيب ...

العامل: بقى اسمع انت وهوه ... قسمًا بالله العظيم تلاتة إن ما مشيتم من هنا لأطلَع أسوِّد لكم وشكم بالزفت والقطران اللي أنا فيه ده!

المليونير: وبتزعل كدا ليه؟ إحنا قلنا حاجة تزعَّل؟!

الصعلوك: دا كلام يزعَّل يا راجل انت؟! ... إحنا عزمناك على عدس وبصل؟ إحنا بنعزمك على ديك رومي وتفاح!

العامل: إمتى ده وفين؟ في الحلم!

الصعلوك: مش شأنك فين وإمتى ... دا شغلنا إحنا.

المليونير: أيوه دا شغلنا إحنا ... اسأله كمان يحب يسمع إيه؟

الصعلوك (للعامل): تحب تسمع إيه يا راجل انت؟!

العامل: نعم؟!

المليونير: تحب نسمعك حاجة من الفرقة الشعبية للبلابل الذهبية؟ ... طيب خلاص ... بعدين ... بعدين ... خد عنوانه يا لهلوبة علشان نرفَّه عنه!

الصعلوك: عنوانه في المجرور ... رقم ... شارع ... إنت عنوان مجرورك إيه يا راجل انت؟!

العامل: فهِّموني ... إنتم بتقولوا إيه ... وعاوزين إيه بالظبط؟!

المليونير: قلنا خلاص ... بعدين ... سلام عليكم!

العامل: وعليكم السلام ... إيه يا خويا المخابيل دول!

المليونير (يتجه مع الصعلوك إلى القهوة)**:** تصوَّر بقى واحد زي ده يعيش على اليخت في النعيم كم يوم، يحصل له إيه؟!

الصعلوك: واحنا حانوكل دول صحيح تفاح وديوك رومي؟!

المليونير: المهم قبل كل شيء اليخت ... وجمع الفلوس ... فين أصحاب الملايين بتوعك؟

الصعلوك (يشير إلى ثلاثة أشخاص في القهوة)**:** أهم لسه قاعدين زي ما هم على رصيف القهوة ... تعالَ نقعد قُربهم.

(يجلسان على مائدة مجاورة، ويصغيان إلى حديثهم.)

الأول: قلت لكم أنا مستعد أثبت لكم بالمستندات إني قرَّبت على اتنين مليون.

الثاني: مش ممكن العقارات اللي عندك تجيب المبلغ ده!

الأول: إنت ما عندكش فكرة ... وبكره أجيب لك الأرقام بالتمام.

الثاني: وأنا حاجيب لك اللي يثبت لك أرقامي ... أنا لما أقول إني زيادة عنك نصف مليون لازم تصدق ... دي شركات مش لعبة!

الثالث: أنا مصدقك؛ لأن أنا نفسي في قطاع الصناعة مش ممكن أِقل عن تلاتة مليون.

الصعلوك (همسًا للمليونير)**:** سمعت؟

المليونير: سمعت ... دول مليانين قوي!

الصعلوك: تفضل بقى خش معهم في الموضوع.

المليونير: قدِّمني إنت لهم.

الصعلوك (يقرِّب كرسيه من مائدة الثلاثة)**:** تسمحوا حضراتكم أقدم لكم زميل مليونير؟!

الثلاثة: تشرفنا!

المليونير (يقترب بكرسيه منهم)**:** أنا اللي تشرفت بمعرفتكم ... صحيح أنا في قطاع المقاولات ... بعيد عن قطاع الصناعة والعقارات ... لكن طبعًا كلنا زملاء و...

الصعلوك: وأصحاب ملايين زي بعض!

المليونير: ولذلك أدخل في الموضوع مباشرة ... وأعرض عليكم «مشروع إنساني اجتماعي» من واجبنا كلنا المساهمة فيه ...

الصعلوك: ولو بمليون جنيه كل واحد!
الأول: هي إيه الحكاية؟!
الصعلوك: الحكاية باختصار إن المليونير زميلكم عاوز يشتري يخت ...
الثاني (باسمًا)**:** يخت؟!
الصعلوك: أيوه ... يخت في البحر زي يخت أوناسيس!
الثالث: يخت مين؟!
المليونير: أوناسيس ... مش سمعتم عن المليونير العالمي أوناسيس؟
الصعلوك: وأوناسيس ده بقى عنده يخت بيعزم عليه العظماء والكبراء ... لكن يختنا إحنا حانعزم عليه الغلابة والهلافيت ...
المليونير: بلاش كلمة الهلافيت دي!
الصعلوك: لا مؤاخذة ... قصدي يعني ...
المليونير: المهم وجود اليخت ... والتمويل اللازم.
الصعلوك: طبعًا كل واحد من حضراتكم يقدر يقدم ...
الأول: يقدم إيه؟!
المليونير: مليون واحد كفاية.
الثاني (يضحك)**:** مليون واحد بس؟!
الثالث (ضاحكًا)**:** بيقول لك مليون كفاية يا أخي!
المليونير: موافقين؟
الأول: يظهر إن حضرتك بتكسب كتير في قطاع المقاولات!
الثاني: خسارة إن زميلنا في قطاع المقاولات مش موجود معنا هنا النهارده!
المليونير: أنا لازم أعرفه ... هو حضرته اسمه إيه؟
الأول: مافيش داعي للأسامي دلوقت.
المليونير: على كل حال، ما دمنا اتفقنا على المبدأ تبقى دي أهم خطوة ... واللي يحب ينضم إلى حضراتكم بعدين ينضم ... وباب المساهمة مفتوح في كل وقت ... موافقين؟
الثاني: موافقين على إيه؟
المليونير: على المبدأ.
الثالث: مبدأ إيه؟
المليونير: إن كل واحد منكم يساهم بمليون جنيه.
الأول: إنت طالب مني أنا أدفع مليون جنيه؟!

الثاني: وطبعًا مني أنا مليون!
الثالث: وأنا لا بد كذلك!
المليونير: بارك الله فيكم!
الأول: إنت عارف إحنا نبقى مين؟
المليونير: طبعًا ... سيماهم على وجوههم.
الصعلوك: أصحاب ملايين ... بالفراسة كده عرفناها.
الثاني: فعلًا ... شغلنا كله في الملايين ... لأن إحنا التلاتة ...
الثلاثة (معًا في نفس الوقت)**:** مفتشين ضرائب.
المليونير (يقفز ناهضًا)**:** ضرايب! ... يا خبر اسود!

(يجذب الصعلوك ويبتعدان ... بينما الثلاثة يضحكون.)

المؤلف (للحمار الذي يُملي)**:** يعني الاثنين رجعا خائبَيْن، بخُفَّيْ حُنين! ... طبعًا ومسألة اليخت تنام ... ما دام مليونيرك يساهم بالكلام!
الحمار: قلت لك اسكت أنت ... دعني أؤلف.
المؤلف: ألِّف يا سيدي ألِّف! ... ماذا بعد ذلك؟
الحمار: بعد ذلك يعود المليونير وصاحبه إلى المكتب، وتستقبلهما السكرتيرة بنظرة تساؤل ... ولكن المليونير يكون طبعًا في حالة غضب، والصعلوك في حالة خجل ... وينفجر فيه المليونير.
المليونير: إنت مرفوت!
الصعلوك: وأنا ذنبي إيه؟
المليونير: هم دول أصحاب الملايين بتوعك! ... دول أصحاب ملايين يا مغفل؟! ... تقول لي المليونيرات ملو الشوارع؟ شوارع؟! يا شوارعي ... يا سككي ... يا لمامة!
الصعلوك: لأ ... ما تقبَّحش من فضلك! ... مرفوت مرفوت! الله الغني عن دي شغلة ... شغلة باينة من أولها!
السكرتيرة: إيه اللي حصل؟!
المليونير: اسألي حضرته!
السكرتيرة: حصل إيه يا لهلوبة؟
الصعلوك: اسألي سيادته!
السكرتيرة: واحد يقول لي!

المليونير: أنا أقول لك ... أصحاب الملايين اللي قال عليهم قدامك طلعوا مفتشين ضرايب!

الصعلوك: وأنا أعمل إيه؟ مش كان كلامهم كله عن الملايين وعن العقارات والشركات؟!

المليونير: وانت ما عندكش نظر؟!

الصعلوك: وانت سيادتك؟! مش قلت إن سيماهم على وجوههم؟! ... بقى دول برضه كان سيماهم على وجوههم؟!

المليونير: اخرس! إنت مرفوت!

السكرتيرة: ما عليهش! سامحه المرة دي ... إدي له فرصة ثانية ... دا كان ناجح بامتياز.

الصعلوك (للسكرتيرة)**:** الله يسترك ويعمر بيتك.

السكرتيرة: خلاص هو قلبه حايروق ...

الصعلوك: الله يسعد قلبك ... ويجمعك على ابن الحلال ... بجاه النبي.

المليونير: علشان خاطر السكرتيرة المخلصة دي ... أنا سامحتك المرة دي.

الصعلوك: المخلصة بس؟ والجمال ده؟! دي عليها حاجب شمال يهوس!

المليونير: انتهينا ... بلاش كلام كتير ... ندخل بقى في شغلنا ... قل لي بقى حاتعمل إيه دلوقت في مسألة اليخت؟

الصعلوك: اليخت تاني؟!

المليونير: طبعًا ... تاني وتالت ورابع ... الفكرة دي لازم تتنفذ ... بأي طريقة ... إنت فاهم؟

الصعلوك: حاضر ... ننفذها.

المليونير: قل لي بقى حاتنفذها ازاي؟

الصعلوك: أولًا ... يلزم لنا يخت.

المليونير: دي مفهومة ... وعارفينها من زمان.

الصعلوك: بس إحنا مش عارفين اليخت دا إيه ... سيادتك شُفت يخت؟

المليونير: لأ.

الصعلوك: ولا أنا.

المليونير: وانت ما تعرفش اليخت؟! أمال نجحت ازاي؟!

الصعلوك: ما جاليش في الامتحان.

السكرتيرة: تسمحولي ... هو اليخت ده مش عبارة عن مركب؟

المليونير: ما دام بيمشي في البحر، يبقى لازم مركب!
الصعلوك: وما دام مركب أمال سموه يخت ليه؟!
المليونير: ماعرفش ... بتسألني أنا؟!
السكرتيرة: من رأيي يكون أحسن لو تستشيروا واحد يفهم في المراكب.
المليونير: زي مين كده؟
السكرتيرة: قبطان مركب مثلًا.
الصعلوك: والله فكرة.
المليونير: هي فعلًا فكرة معقولة ... اسمع يا لهلوبة ... إحنا نبدأ قبل كل شيء بالقبطان ... نعيِّن أولًا القبطان ... وهو اللي يعرف يجيب لنا اليخت.
الصعلوك: هو ده الكلام المفيد.
المليونير: تبقى إنت حالًا تغطس ...
الصعلوك: رجعنا للغطس!
المليونير: وتقب بالقبطان.
الصعلوك: حاضر.
المليونير: ياله تحرك ... بسرعة!
الصعلوك: حالًا ... مسافة السكة.
المليونير: انتظر ... إنت عارف قبطان يعني إيه؟
الصعلوك: طبعًا عارف ... اللي بيسوق المركب ... وعارف واحد بالذات ... تذكَّرته دلوقت ... قبطان درجة أولى ... وعلى بختنا خالي شغل، وقاعد في بيته.
المليونير: هايل ... روح هاته حالًا.
الصعلوك: هَوَا ... (يخرج مسرعًا.)
المليونير: لحظة واحدة ... لما أروح أفاجئ بلابلنا الذهبية ... وأشوف وصلوا لغاية فين في التدريبات!

(يخرج من باب ... ويدخل من باب آخر رجل يدق على الباب مستأذنًا.)

الرجل: هو ... المليونير مش هنا؟
السكرتيرة: إنت مين؟
الرجل: أنا متعهد الحفلات.
السكرتيرة: حفلات؟!

الرجل: أيوه ... المليونير كان اتفق معايه على توريد فرقة اسمها فرقة البلابل الذهبية لعشرين حفلة في الخارج ... وقبض مني ألف جنيه على الحساب ... وبيقول إن الفرقة لسه بتتمرن ... بس أنا عاوز يحدد لي وقت علشان أربط مواعيد العمل.

السكرتيرة: هو مش موجود النهارده ... روح وتعالَ بكرة.

الرجل: بكرة؟

السكرتيرة: أيوه ... بكرة.

الرجل: طيب يا ستي ... بكرة بكرة ... بس أرجوكِ تفكَّريه ... سلام عليكم.

(يخرج الرجل من الباب الذي دخل منه.)

المليونير (يدخل)**:** لسه لهلوبة ما رجعش بالقبطان؟

السكرتيرة: لأ لسه ... فرقة البلابل بتتمرن؟

المليونير: بعد شوية ... دلوقت هم موظفين بينجزوا أعمال المكتب.

السكرتيرة: على فكرة ... هم مش حايقبضوا ... أجر إضافي؟!

المليونير: أجر إضافي؟! علشان إيه؟

السكرتيرة: في نظير أعمالهم في فرقة البلابل.

المليونير: إنتِ بتسمي دي أعمال؟! دا ترفيه لهم ... إدخال البهجة والسرور عليهم ... وأرجوكِ إياكِ تفتَّحي عيونهم على حاجات زي دي.

السكرتيرة: حاضر.

المليونير: تعرفي لما نجيب اليخت — إن شاء الله — إنتِ حاتكوني إيه؟ حاتكوني إنتِ المضيفة الأولى ... كبيرة المضيفات.

السكرتيرة: عمل إضافي ولا ترفيه؟!

المليونير: بعدين ... نبقى نشوف.

(الصعلوك يدخل يلهث.)

الصعلوك: فرجها ربنا ... والحمد لله!

المليونير: جبت القبطان؟

الصعلوك: ومنتظر بره.

المليونير: دخَّله هنا حالًا.

الصعلوك: أنا طبعًا ما اتفقتش معه على حاجة.

المليونير: حاجة زي إيه؟
الصعلوك: مرتب يعني أو ...
المليونير: لا ... لا ... مالكش دعوة انت بالحاجات دي.
الصعلوك: أيوه سيادتك انت اللي تعرف تقدَّر قيمته ومواهبه ومركزه ...
المليونير: بعدين ... روح بس هاته هنا.

(الصعلوك يخرج ... ويعود وهو يقود رجلًا أعمى يدب بعصاه.)

المليونير: إيه ده؟
الصعلوك: القبطان.
المليونير: قبطان؟! هو ما بيشوفش ولَّا إيه؟!
الصعلوك: شوية كدة.
المليونير: يعني إيه؟
الصعلوك: يعني هو بس ... كفيف.
المليونير: كفيف؟! يعني أعمى؟!
الصعلوك: مولود كده ... خلقة ربه.
المليونير: قبطان أعمى؟!
الصعلوك: وما له؟! إحنا عاوزين عينيه نعمل بيها إيه؟!
المليونير: ويشوف البحر ازاي؟!
الصعلوك: وليه يشوف البحر؟!
المليونير: قبطان ما يشوفش البحر!
الصعلوك: ولا له دعوة بالبحر ... هو يقعد في القمرة بتاعته ... ويصدر الأوامر ... شيلوا الهلب ... نزِّلوا الهلب ... اخرجوا من المينا ... ادخلوا المينا ... اضربوا صفارة ... بلاش صفارة ... روحوا يا بحَّارة ... تعالوا يا بحَّارة ... وهلم جرا ...
المليونير: وهل سبق له إنه ساق مراكب؟
الصعلوك: طبعًا ... مش قبطان؟! ... ودي حاجة صعبة؟ ... هو حايسوق أوتومبيل ... ويلقى قدامه إشارات مرور حمرا وخضرا ... دا بحر واسع ... سداح مداح!
المليونير: أنا مش مصدق الحكاية دي!
الصعلوك: أهو عندك اسأله.
المليونير (للقبطان)**:** اسمع يا ... إنت قبطان؟

القبطان: أي نعم.

المليونير: سبق لك شغل على مراكب؟

القبطان: كتير ... طول عمري.

المليونير: والبحر؟

القبطان: ما له البحر؟

المليونير: تعرفه؟

القبطان: وأعرف كل موجة فيه ... وكل نسمة ... وكل سمكة.

المليونير: وانت بتعمل إيه دلوقتي؟

القبطان: خالي شغل.

المليونير: ليه؟

القبطان: علشان الجهل والتغفيل وقلة التقدير.

المليونير: ازاي ... حصل إيه؟

القبطان: حصل — يا سيدي الفاضل — إني كنت آخر مرة قبطان على مركب ... وفي وسط البحر حضر لي المساعد بتاعي وقال لي إن فيه نور على بُعد ... قلت له: إحنا فين؟ قال: قرب جبل طارق ... قلت له: الحتة دي فيها وحْش بحري مخيف عينيه الاتنين بتشع نار، هي النور اللي شافه، وأمرته ينصب المدافع ويصوِّب على عينين الوحش، وفعلًا ...

المليونير: فعلًا إيه؟

القبطان: ضربنا الوحش بالمدفع قلعنا عينيه الاتنين.

المليونير: وبعدين؟

القبطان: وبعدين ولا حاجة ... أخدونا حاكمونا!

المليونير: حاكموكم؟! ليه؟

القبطان: قال إيه يا سيدي ... النور ده كان نور منارتين فوق صخرة، واحنا هدمنا المنارتين بالمدفع ... ورفتونا وجازونا.

الصعلوك: شوف الظلم والافترا!

المليونير (يهجم على الصعلوك ويصفعه): افترا ... افترا يا بن الـ ...

الصعلوك: الله ... الله ... إحنا فينا من ضرب؟!

المليونير: دا قبطان دا يا حيوان؟! ... خده قوام اسحبه من هنا ... واخرج واياه ما تورنيش خِلقتك ... وإلَّا — ورب العزة — أكون مدشدش دماغك ده اللي بتخرج منه البلاوي!

الصعلوك: وأنا ذنبي إيه بس؟! قلت لي: هات قبطان جبت لك القبطان!
السكرتيرة: صحيح ... ذنبه هو إيه؟!
المليونير: إنتِ كمان بتقولي كده؟!
السكرتيرة: إنتم مش امتحنتوه ونجح في الامتحان؟
الصعلوك: بامتياز.
المليونير (ينغِّم الكلام): آه ... أقول لكم إيه؟ أعمل لكم إيه؟ غلبت معاكم ... أنا طهقان.
الصعلوك (منغِّمًا):

قال هات قبطان
جبت له قبطان
قولوا لي يا ناس
أبقى انا غلطان؟

(يدخل كافة الموظفين والموظفات في مجموعة صائحة شبه راقصة.)

المجموعة (للصعلوك):

الحق معاك
الحق معاك
واحنا هنا
شاهدين وياك.

المليونير:

إخص على اللي عملكوا بلابل
وانتم ألعن م الغربان.

المجموعة:

إخص على اللي عملنا بلابل
وربط في رقابنا جلاجل
الفن ما يجيش بالنبوت
ولا بتوت حاوي توت.

(رقص وصياح وفوضى عامة.)

المؤلف: وألحان ورقص أيضًا؟!

الحمار: إن لم نضع هذه الأشياء وضعها المخرج ... لزوم العرض المسرحي ... اليوم فقدت الكلمة احترامها ... وأصبح الاعتماد على إغراق النص في الحركات والإشارات والأغنيات والصرخات.

المؤلف: وأخيرًا؟ ماذا تريد أن تُملي عليَّ بعد ذلك؟

الحمار: لا شيء ... انتهت المسرحية.

المؤلف: انتهت هكذا؟! أنا لم أفهم شيئًا من تأليفك هذا.

الحمار: قلت لك إنها مسرحية لا رأس لها ولا ذنَب ... مجرد مسرحية ترفيهية ... ألم أرفه عنك كما طلبتَ؟

المؤلف: لا.

الحمار: اسمح لي ... أنا ... غلب حماري معك وغلبت معه.

المؤلف: حمارك؟! وهل لك حمار؟!

الحمار: طبعًا.

المؤلف: ومن يكون حمارك هذا؟!

الحمار: أنا؟! متشكر!

١٩٧٠/٦/٩م

سوق الحمير

المنظر الأول

(المكان قرب سوق للحمير ... نهيق يُسمع عن بُعد ... خارج هذه السوق يجلس شخصان يبدو من ملابسهما وهيئتهما الزرية أنهما من العاطلين المتسكعين.)

العاطل الأول (لزميله)**:** تعرف تقول لي إيه الفرق بينا وبين الحمير؟
العاطل الثاني: الفرق أهو إنت سامعه.
العاطل الأول: النهيق؟
العاطل الثاني: بالضبط كده ... النهيق.
العاطل الأول: يكونش النهيق ده هو كلام الحمير؟!
العاطل الثاني: لازم كده.
العاطل الأول: يعني هي دلوقت بتتكلم؟
العاطل الثاني: وجايز بتهتف كمان!
العاطل الأول: يا ترى بتقول إيه؟!
العاطل الثاني: أظن لازم تكون حمار علشان تعرفها.
العاطل الأول: وبتكلم بعضها بصوت عالي جدًّا؟!
العاطل الثاني: طبعًا ... مش لازم تسمع بعضها.
العاطل الأول: أنا كنت فاهم الحمير بتتهامس!
العاطل الثاني: ليه؟ علشان إيه؟
العاطل الأول: زيِّنا يعني.
العاطل الثاني: لا اطمئن ... الحمير مش زيِّنا!

العاطل الأول: صدقت ... الحمير دي جنس متحضِّر!

العاطل الثاني: بتقول إيه؟! متحضر؟!

العاطل الأول: عمرك شفت حمير برية؟ فيه خيول برية، وجاموس بري، وحمام بري، وقطط برية ... لكن الحمير طول عمرها عايشة بينا ... تشتغل وهي ساكتة، وتتكلم بحُرية.

العاطل الثاني: بحُرية؟

العاطل الأول: قصدي بصوت عالي.

العاطل الثاني: بمناسبة الصوت، تقدر تقول لي إحنا مش عارفين نعيش ليه حضرتك وحضرتي؟!

العاطل الأول: علشان حضرتك وحضرتي مفلسين.

العاطل الثاني: ومفلسين ليه؟

العاطل الأول: علشان ما حدش سائل عنا ... لو كان لنا سوق زي سوق الحمير ده كنا لقينا اللي يشترينا.

العاطل الثاني: وماحدش يشترينا ليه؟

العاطل الأول: لأننا بضاعة محلية.

العاطل الثاني: وما له؟!

العاطل الأول: لا ... الفلوس لازم تندفع في بضاعة بلاد بره.

العاطل الثاني: ما تيجي نعلن عن نفسنا.

العاطل الأول: بإيه؟

العاطل الثاني: بصوتنا.

العاطل الأول: ما يطلعش.

العاطل الثاني: واشمعنى صوت الحمير طالع؟!

العاطل الأول: لأنها زي ما قلت لك جنس متحضر.

العاطل الثاني: أنت شوَّقتني ... آه لو كنت حمار! زي اللي جاي ده ... بص شوف هناك ... الحمار ده اللي ساحبه الراجل وطالع به من السوق ... يا ترى اشتراه بكم؟ شوف طالع به معتز كده وشامخ!

العاطل الأول: أنا جت لي فكرة.

العاطل الثاني: إيه هي؟

العاطل الأول: تحب تبقى حمار؟!

العاطل الثاني: أنا؟! ... إزاي؟!

العاطل الأول: مالكش دعوة ... تحب ولَّا ما تحبِّش؟

العاطل الثاني: أحب ... بس ازاي؟!

العاطل الأول: أقول لك ... عندك الحمار اللي جاي علينا ده ... وساحبه الرجل اللي اشتراه ... حاروح أنا أقابل الرجل وأشغله بالكلام ... تكون أنت بتحل الحبل من رقبة الحمار بدون صاحبه ما يشعر، وتربط الحبل في رقبتك إنت.

العاطل الثاني: بس كده؟! وبعدها؟

العاطل الأول: بعدها يسحبك إنت ... وأسحب أنا الحمار.

العاطل الثاني: ويسحبني على فين؟

العاطل الأول: ماعرفش بقى ... إنت وحظك.

العاطل الثاني: إنت بتتكلم جد؟!

العاطل الأول: مش إنت اللي عاوز كده؟

العاطل الثاني: أربط في رقبتي حبل ويسحبني؟!

العاطل الأول: وفيها إيه؟! على الأقل تلقى واحد يضمن لك لقمة تاكلها.

العاطل الثاني: وهي حاتبقى اسمها لقمة؟ ... حايبقى اسمها عليق!

العاطل الأول: زي بعضه ... حاجة تتَّاكل والسلام!

العاطل الثاني: على رأيك ... بدل الجوع والصياعة ... بس بقى حادخل على الرجل ده بأي شكل؟

العاطل الأول: إنت وشطارتك.

العاطل الثاني: نجرَّب!

العاطل الأول: داري نفسك ... مش لازم الرجل يلمحنا مع بعض.

(يفترقان ... ويخلو المكان ... ويظهر الرجل وهو — فيما يبدو — مُزارع ... يمسك بحبل يسحب به الحمار خلفه ... ويأتي العاطل الأول ويتقدم إليه.)

العاطل الأول: سلام عليكم.

المزارع: وعليكم السلام.

العاطل الأول: الله! ... إنت يا عم مش عارفني ولَّا إيه؟

المزارع: إنت تبقى مين؟

العاطل الأول: أبقى مين؟! هو مش كان عيش وملح؟!

المزارع: مش واخد بالي ... سبق أكلنا مع بعض عيش وملح؟!

العاطل الأول: يعني نسيت كدا بالعَجَل؟! ما ينسى المعرفة إلَّا ابن الحرام.

المزارع: أنا ابن حرام؟!

العاطل الأول: ما عاش اللي يقول عليك كده ... أنا قصدي اللي ينسى أصحابه ... لكن انت والحمد لله كلَّك شهامة وإنسانية، بس انت راح من بالك شكلي ... أصل احنا اتقابلنا بالليل ... على العشا ... بأمارة ما كان القمر ليلتها غايب.

المزارع: القمر؟ ... إمتى؟ ... وفين؟

العاطل الأول: أنا أفكَّرك ... بس اصبر لما تنحل العقدة!

(ينظر من طرف خفي إلى زميله الذي تسلَّل خفية وانهمك في حل عقدة الحبل.)

المزارع: عقدة إيه؟

العاطل الأول: عقدة لساني ... إنت أخجلتني ... وجعلتني أنسى الكلام ... ساعدني شوية ... (مختلسًا النظر إلى زميله، ومستحثًّا له خفيةً) حِل العقدة بقى ... وخلصني اعمل معروف.

المزارع: أنا مش فاهم حاجة!

العاطل الأول: حاتفهم حالًا ... متى انحلت العقدة ... والعقدة لازم تنحل؛ لأن الموقف طال ... طال قوي ... حل بقى يا أخي بسرعة!

المزارع: أحل إيه بس؟!

العاطل الأول (يرى زميله انتهى من فك الحبل وربطه في رقبته بعد إطلاق الحمار)**:** أهي انحلت على خير ... والمولى — سبحانه وتعالى — هو المُلهِم بالحل ... والحل هو ترك الأمور لوقتها ... وكل شيء بأوان ... وكل وقت وله أدان ... وما دمت مش فاكرني دلوقت. أترك لك الوقت تفكر على مهلك ... ونتقابل — إن شاء الله — عن قريب وتكون افتكرتني وتاخدني بالأحضان ... سلام عليكم.

(يترك المزارع حائرًا ... ويذهب خلف الحمار، ويأخذه ويبتعد به دون أن يشعر الرجل بشيء.)

المزارع (لنفسه): قابلته فين ده؟! وكان العشا فين؟! والقمر غايب! ... جايز ... الواحد اليومين دول عقله تايه.

(يشد حبل الحمار؛ ليسير به، ولا يدري أن الذي مكان الحمار الآن هو العاطل الثاني.)

المزارع (صائحًا): حاه يا حمار!

(العاطل الثاني يُقلِّد نهيق الحمير.)

المزارع (يلتفت خلفه ويُفاجَأ): الله! ... إيه ده؟! إنت مين؟!
العاطل الثاني: أنا الحمار!
المزارع: حمار؟!
العاطل الثاني: أيوه ... الحمار اللي انت اشتريته دلوقت من السوق!
المزارع: مش ممكن!
العاطل الثاني: ليه؟! وبتستغرب كده ليه؟! إنت مش اشتريتني من السوق دلوقت؟!
المزارع: أيوه ... لكن ...
العاطل الثاني: لكن إيه؟
المزارع: بسم الله الرحمن الرحيم!
العاطل الثاني: ما تخافش ... أنا حمارك!
المزارع: إزاي؟! ... إنت بني آدم.
العاطل الثاني: قسمتك ... نصيبك!
المزارع: وانت ... صحيح إنس ولَّا ...؟
العاطل الثاني: أيوه إنس مش جن ... اطمئن ... والحكاية لها أصل ... بس هدي نفسك شوية.
المزارع: أنا ... هديت.
العاطل الثاني: اسمع بقى يا سيدي ... أصل الحكاية إني كنت ابن واحد ... رجل طيب زي حضرتك ... لكن كان دماغه ناشف ... صمم يجوِّزني واحدة لا شفتها ولا شافتني ... رفضْت ... لكنه صمِّم ... قلت له: نتفاهم ... نتناقش ... دا مستقبلي ... لا بد من الكلام فيه بحرية ... غضب، وقال: ما عنديش أولاد يناقشوني ... قلت له: مش سامع

كلامك ... قال لي: إنت حمار ... قلت له: مش حمار ... قال: أنا قلت إنك حمار، ولازم تكون حمار ... ودعا عليَّ أنسخط حمار ... ويظهر إن أبواب السما كانت ساعتها مفتوحة والدعوة استجابت ... وانسخطت فعلًا حمار ... وتوفى والدي ... ووجدوني في زريبة المواشي ضمن التركة ... باعوني في السوق ... وجيت انت واشتريتني!

المزارع: عجيبة! بقى انت الحمار اللي أنا اشتريته؟!

العاطل الثاني: أنا بعينه.

المزارع: وإيه اللي رجَّعك دلوقت بني آدم؟!

العاطل الثاني: قلت لك قسمتك ... نصيبك ... يظهر إنك رجل من الصالحين ... وأراد المولى — سبحانه وتعالى — أن يكرمك.

المزارع: ونِعم بالله! لكن بس ... إيه العمل دلوقت؟

العاطل الثاني: من جهة إيه؟

المزارع: من جهة ... حالتك دي دلوقت؟!

العاطل الثاني: وحصل إيه؟!

المزارع: حصل إنك ... إني ... مش عارف أتصرف ازاي؟ يعني فلوسي ضاعت ... راحت عليَّ.

العاطل الثاني: ما راحتش عليك ولا حاجة.

المزارع: إزاي بقى؟!

العاطل الثاني: إنت مش اشتريت بفلوسك حمار؟! الحمار موجود.

المزارع: فين هوه؟!

العاطل الثاني: وأنا رحت فين؟!

المزارع: إنت؟!

العاطل الثاني: أيوه أنا.

المزارع: عاوز تقول إنك ...؟

العاطل الثاني: ملك يمينك ... اشتريتني بفلوسك على إني حمار ... وتمت لك الصفقة ... كوني أنقلب بعد كده شيء تاني دا مش ذنبك ... إنت اشتريت وخلاص!

المزارع: أيوه اشتريت.

العاطل الثاني: خلاص اطمئن.

المزارع: يعني إنت ملكي دلوقت؟!

العاطل الثاني: شرعًا ... دا حقك محفوظ.
المزارع: معقول ... طيب ... نهايته ... ياللا بنا.
العاطل الثاني: تحت أمرك.
المزارع: حوِّد من هنا يا ... بس حاناديك ازاي؟ حاقول لك إيه؟
العاطل الثاني: قل لي أي اسم ... عندك مثلًا ... مثلًا ... حصاوي ... إيه رأيك في الاسم ده؟ حصاوي ... روح يا حصاوي ... تعالَ يا حصاوي!
المزارع: حصاوي؟
العاطل الثاني: مناسب للموضوع!
المزارع: على خيرة الله ... ياللا بنا يا ... سيد حصاوي! ... انتظر شوية ... أظن مسألة الحبل في رقبتك مابقاش لها لزوم!
العاطل الثاني: اللي تشوفه.
المزارع: بلاش الحبل أحسن ... إنت يعني حاتروح فين؟ اصبر لما أفكه عن رقبتك.
العاطل الثاني (يفك الحبل بنفسه)**:** عنك ... عنك ... بعد إذنك!
المزارع: أيوه كده ... تعالَ بقى نروح بيتنا يا أستاذ ... يا سيد ... حصاوي!

(يسير المزارع وخلفه حصاوي نحو البيت.)

المنظر الثاني

(داخل بيت المُزارع ... زوجته مشغولة ببعض أعمال المنزل ... تسمع طرقًا على الباب.)

الزوجة: مين؟
المزارع (من الخارج)**:** أنا يا ولية ... افتحي!
الزوجة (تفتح الباب ويدخل زوجها)**:** كنت لحد دلوقت في السوق؟
المزارع: ولسه راجع منه.
الزوجة: اشتريت الحمار؟
المزارع: اشتريت.
الزوجة: دخلته الزريبة؟
المزارع: زريبة إيه يا ولية؟ ... خش يا سيد حصاوي!

الزوجة: إنت معك ضيف؟
المزارع: مش ضيف ... دا يبقى ... بعدين أقول لك.
الزوجة: اتفضلوا.
المزارع: روحي انتي اعملي لي كباية شاي.

(الزوجة تنصرف.)

حصاوي (يتأمل حوله)**:** أنا يظهر ...
المزارع: وأنا حاقول لمراتي إيه؟
حصاوي: قل لها الحقيقة.
المزارع: الحقيقة؟!
حصاوي: بالضبط ... لا كلمة زيادة ولا كلمة ناقصة ... مافيش أحسن من الصراحة.
المزارع: وانت على كده حاتنام فين؟
حصاوي: في الزريبة برضه!
المزارع: الزريبة ازاي؟ ودا يصح؟!
حصاوي: مكاني كده! ... ماتغيرش الأوضاع ... كل ما في الأمر إن كان عندكم مرتبة ومخدة ... افرشوا لي هناك.
المزارع: طيب والأكل؟ مش معقول حاتاكل تبن ودريس وبرسيم وفول.
حصاوي: آكل فول ... بس يكون مدمس!
المزارع: وعليه شوية زيت.
حصاوي: وفص لمون.
المزارع: وحاتفضل تاكل فول على طول؟
حصاوي: نعمة من الله!
المزارع: على رأيك! ... الحمير أكلها كله واحد ... لا تعرف فطار ولا غدا ولا عشا ... هو التبن والدريس والبرسيم والفول ... ما فيش غيره!
حصاوي: أنا عارف كده.
المزارع: طيب ... خلصنا من نومك وأكلك ... قل لي بقى راح تشتغل إيه؟
حصاوي: كل شغل الحمير ... ما عدا الركوب.
المزارع: الركوب؟!
حصاوي: ما تقدرش تركبني ... لأن مصيرك تقع.

المزارع: والحمولة؟ أنا مثلًا كنت ناوي أحمل على الحمار حمولة فجل وكرات لتاجر الخضار.

حصاوي: أنا أقوم بالشغلة دي.

المزارع: حاتشيل الخضار على كتفك؟

حصاوي: دا شغلي بقى ... أنا أتصرف ... أنا صحيح حمار ... لكن عندي عقل.

المزارع: عقل؟! مسألة العقل دي أنا كنت ناسيها!

حصاوي: اطمئن! عقلي ده في خدمتك ... تقدر تعتمد عليه دايمًا ... بس ادِيني الثقة وحرية الأخد والعطا معك في الكلام.

المزارع: يعني تقدر تروح للتاجر لوحدك بالمحصول؟

حصاوي: وأتفق لك معه على أحسن سعر.

المزارع: لما نشوف ...

الزوجة (مِن الخارج)**:** الشاي.

حصاوي: اسمح لي أنا بقى.

المزارع: على فين؟

حصاوي: أروح أعاين الزريبة اللي حانام فيها.

المزارع: تلقاها على يمينك وانت خارج.

(حصاوي يخرج ... وتدخل الزوجة بكوب الشاي.)

الزوجة (تقدِّم الشاي لزوجها)**:** هو ضيفك خرج؟

المزارع: دا مش ضيف يا ولية د ... دا ...

الزوجة: مين؟

المزارع: دا ... يبقى ...

الزوجة: يبقى إيه؟

المزارع: دا ... هو ...

الزوجة: هو مين؟

المزارع: إنتِ مش حاتصدقي.

الزوجة: مش حاصدق إيه؟

المزارع: اللي حاقوله لك دلوقت.

الزوجة: ليه؟ طيب بس قول.

المزارع: دا يبقى هو ... الحمار اللي أنا اشتريته.

الزوجة: الحمار؟!

المزارع: أيوه ... مش أنا رحت سوق الحمير النهارده؛ لأجل أشتري حمار؟ أهو دا الحمار اللي أنا اشتريته من السوق.

الزوجة: إنت يا راجل عاوز تاكل بعقلي حلاوة؟!

المزارع: مش قلت لك إنتِ مش حاتصدقيني؟!

الزوجة: أصدق إيه بس؟ ... هو السوق بيبيع حمير بني آدمين كده؟!

المزارع: دا ماكنش بني آدم ساعة ما اشتريته ... كان حمار زي بقية الحمير ... وبينهق.

الزوجة: وبينهق كمان؟!

المزارع: آي والله ... والمصحف كان بينهق!

الزوجة: وبعدين؟

المزارع: وبعدين في السكة وأنا ساحبه بالحبل ... التفت ورايا لقيته انقلب بني آدم!

الزوجة: يا حفيظ! ... عفريت؟!

المزارع: لا يا ولية ... مش عفريت ... دا كان مسخوط! ... كان في الأصل بني آدم ابن ناس طيبين زينا ... وانسخط حمار ... وباعوه في السوق ... وأنا اشتريته ... وأراد الله سبحانه وتعالى أن يكرمني قام رجَّعه بني آدم.

الزوجة: قُدرتك يا رب!

المزارع: أهو دا اللي حصل.

الزوجة: لكن بس يعني ...

المزارع: إيه؟ عاوزة تقولي إيه؟

الزوجة: ولا حاجة ...

المزارع: لا ... إنتِ عاوزة تقولي حاجة.

الزوجة: عاوزة أقول يعني ... حاتعمل به إيه دلوقت وهو كدا بني آدم؟!

المزارع: نعمل به إيه؟! ... زي أي حمار بالضبط ... وزيادة على كده كمان عنده عقل.

الزوجة: يعني مش حانقدر نركبه!

المزارع: بلاش مسألة الركوب دلوقت.
الزوجة: وحانكلمه زي بقية البني آدمين؟!
المزارع: أيوه ... كلميه وناديه باسمه.
الزوجة: هو له اسم؟
المزارع: أيوه امال إيه؟ ... له اسم ... اسمه حصاوي ... نناديه ونقول له: تعالَ يا حصاوي ... روح يا حصاوي.
الزوجة: وحاينام فين ده؟
المزارع: في الزريبة برضه ... افرشي له هناك.
الزوجة: وحاياكل إيه؟
المزارع: فول برضه ... بس بزيت.
الزوجة: زيت؟
المزارع: ولمون.
الزوجة: ويشرب شاي؟
المزارع: ما نعودوش على كده.
الزوجة: يا حلاوة! عندنا حمار بني آدم!
المزارع: إياكِ يا ولية تحكي الكلام ده للجيران ... ليقولوا طلع لنا عفريت!
الزوجة: وأقول لهم إيه؟
المزارع: قولي ... قولي مثلًا ... دا واحد قريبنا من بعيد ... حضر يساعدنا في الشغل الأيام دي واحنا على دخلة رمضان.

(طرْق على الباب.)

الزوجة: مين؟
حصاوي (من الخارج): أنا ... حصاوي.
الزوجة (لزوجها): دا ... هو؟!
المزارع: افتحي له!
الزوجة (تفتح الباب): خش ... وامسح رجليك في العتبة!
حصاوي (داخلًا): أنا نضفت لي ركن في الزريبة وفرشته بالقش.
المزارع: أهو يا ستي بينضف ويفرش لنفسه ... دي كمان فايدة.

الزوجة: أيوه خليه يتعود على كده.

حصاوي: أنا كنت جاي في موضوع مهم.

المزارع: بخصوص إيه؟

حصاوي: بخصوص تاجر الخضار.

المزارع: تاجر الخضار؟ ما له؟!

حصاوي: حضر مندوب من طرفه ... قابلته دلوقت على الباب ... قال إن التاجر مستعجل على استلام الشروة ... سرحت به في الكلام، فهمت إن سعر الفجل والكرات حايرتفع في رمضان، قلت له إنك لسه بتشاور عقلك؛ لأن فيه مشتري جديد عارض عليك سعر أحسن ... الرجل انهز وقال في الحال إنه مستعد يرفع السعر.

المزارع: قال كده؟

حصاوي (يُخرِج نقودًا)**:** وأخدت منه علاوة ... تفضل!

المزارع: الله يبارك فيك.

حصاوي: بس أنا لي عندك طلب.

المزارع: إيه هو؟

حصاوي: تسمح لي قبل ما تبت في أي موضوع نتشاور مع بعض بكل حرية وصراحة.

المزارع: وأنا عند قولك.

حصاوي: إنت كنت ناوي تسلم كل محصولك للتاجر؟!

المزارع: أيوه كله.

حصاوي: ليه كده؟

المزارع: لازمنا فلوس.

حصاوي: ضروري في الوقت الحاضر؟

الزوجة: أيوه ضروري ... لازمنا فلوس ضروري على دخلة رمضان ... إنت ناسي الياميش ... إنت ناسي النُّقل والمكسرات وقمر الدين.

حصاوي: أنا كان عندي رأي ...

المزارع: قل لنا ...

حصاوي: نحجز جزء من المحصول على جنب ونجعله تقاوي للزرعة الجديدة ... بدل ما نشتري تقاوي بالغالي في موسم الزرع.

المزارع: واحنا فين لسه والزرعة الجديدة فين؟!

الزوجة: الزرعة الجديدة لها رب يدبرها ... إحنا في النهارده.

حصاوي: أمركم ... على كل حال أنا قلت رأيي ... لأني خايف ييجي ميعاد الزرعة الجديدة ما يكونش تمن التقاوي نفسه موجود ... وتستلفوه بالفايظ ... أو بالربا ... وجايز تضطروا تبيعوني في السوق.

المزارع: خليها على الله.

الزوجة: هو كلامه كتير كدا ليه؟!

المزارع (لحصاوي): عندك شيء تاني تقوله؟

حصاوي: عندي ... بس خايف.

المزارع: خايف من إيه؟ قل لنا وأمرنا لله!

حصاوي: أيوه أنا لازم أقول اللي في دماغي ... وأخلَّص ذمتي ... أنا لاحظت وأنا مارر من غيطك دلوقت إن الفدانين المزروعين فجل وكرات فيهما على الأقل عشرة قراريط بور ... لأن مية الري مش واصلة.

المزارع: ودي نعمل فيها إيه؟

حصاوي: يلزم لها شادوف أو شادوفين.

المزارع: فكَّرنا فيها.

حصاوي: وإيه اللي منع؟

المزارع: الفلوس ... فين الفلوس؟!

حصاوي (ينظر إلى معصم الزوجة): إسورة واحدة من أساور الست ...

الزوجة (صائحةً): يا دهوتي!

حصاوي: ري العشرة قراريط يرجَّع تمن الإسورة من أول زرعة.

المزارع: إنتَ شايف كده؟

الزوجة (تدق على صدرها): يا مصيبتي! إنت ناوي يا رجل تسمع كلام البهيم ده وتبيع لي أساوري؟!

المزارع: لسه لا بعنا ولا اشترينا ... إحنا بناخد ونعطي في الكلام.

الزوجة: تاخد وتعطي في الكلام مع حمارك يا رجل يا خرفان؟!

المزارع: وفيها إيه؟ نسمع منه ... اسمعي انتِ كمان.

الزوجة: أسمع؟ أسمع من ده؟ أسمع الكلام الفارغ ده اللي يسم البدن؟! داهية تسم بدنه من ساعة ما دخل علينا.

المزارع: هو حر في رأيه.

الزوجة: رأيه؟ رأيه دا إيه يا ادلعدي؟! ودا يبقى له رأي؟ حمار في الزريبة يمشِّي رأيه علينا؟!

المزارع: دا مش حمار زي بقية الحمير ...

الزوجة: ولو! ... وحق من خلَقك وصوَّرك إن ما كان حمارك ده يلم نفسه ويبعد عن أساوري، ما انا قاعدة لكم تحت سقف!

المزارع: اعقلي واصبري! ... هو احنا قمنا وافقناه على رأيه؟!

الزوجة: كان ناقص توافقه على رأيه! ... طول عمرك قاعد في بيتك بمقامك... الرأي رأيك والكلمة كلمتك ... تروح السوق تسحب بسلامته سي ... حصاوي ده وتعمل له حساب ويبقى له هنا رأي!

المزارع: رأيه نفع، وكسب لنا من التاجر علاوة.

الزوجة: علاوة؟! وهو سابنا نفرح بها؟! أهو عاوز يطيَّرها بأفكاره الفارغة واحنا داخلين على مصاريف رمضان وبعد رمضان ماتنساش العيد ... والعيد يلزم له كحك ...

المزارع: وبعد عيد الكحك قدامنا عيد الضحية ... ويلزم له خروف ...

الزوجة: ولما انت عارف كده بتسمع كلامه ليه؟

المزارع: ما هو السمع ما يضرش.

الزوجة: مين قال كده؟ كتر الدوي على الودان أشد من السحر!

المزارع: يعني غرضك نقول له يقفل بُقه؟!

الزوجة: يقفله بالضبة والمفتاح، ويتنيل على عينه! هو حمار ولازم يفضل حمار، وانت سيد البيت تبقى سيد البيت ... مش شرابة خُرج على آخر الزمن ... عيب يا راجل على شيبتك عيب!

المزارع: وأنا شرابة خُرج؟!

الزوجة: قرَّبت وحياتك ... وبسلامته الحصاوي ده قرب يبقى هنا الكل في الكل!

المزارع: الكل في الكل إزاي يا ولية؟ أنا برضه اللي في إيدي اللجام.

حصاوي (لنفسه): اللجام؟!

الزوجة: طيب ومنتظر إيه ... ما تلجمه من دلوقت!

المزارع: ويجرى إيه لو سبناه يدش زي ما هو عاوز؟!

حصاوي (لنفسه): أدش؟!

الزوجة: أنا خايفة من الدش والداش بتاعه ده!

المزارع: وتخافي من إيه؟

الزوجة: يضحك عليك وتصدقه.

المزارع: أصدقه؟! ليه؟! قالوا لك عليَّ حمار!

الزوجة: الحمار قدامك أهوه بقت له كلمة.

المزارع: الكلام شيء ... والعمل شيء تاني.

الزوجة: عمل إيه يا اخواتي؟! ... ما انت سبت له الحبل أهوه!

المزارع: يعني أربطه من رقبته؟!

الزوجة: زي بقية الحمير.

المزارع: دا بني آدم يا ولية!

الزوجة: لكن كان أصله حمار ... وانت اشتريته من سوق الحمير ... وساعة ما دفعت فيه الفلوس كان حمار ... يبقى مطرحه هناك في الزريبة ... ولا يدخلش البيت هنا وتبقى له كلمة ... دي الأصول ... وان ما كانش عاجبك أطلع أشهد الجيران وأقول لهم: الحقوني يا خلق هُوه ... الرجل جوزي انخبل في عقله واشترى من السوق حمار عمله بني آدم وبيسمع كلامه ورأيه!

المزارع: ما تبقيش مجنونة يا ولية! ... اسكتي ... خلاص.

الزوجة: خلاص إيه؟ ... فهِّمني!

المزارع: نرجع زي ما كنا ونستريح ... اسمع انت يا ... حصاوي انت!

حصاوي: أفندم!

المزارع: بقى حكاية أشاورك وتشاورني دي مش نافعة ... أنا هنا صاحب الأمر والنهي ... وانت عليك الطاعة بس ... يعني بُقك ده ما ينفتحش بكلمة ... إنت فاهم؟ تفضَّل بقى على الزريبة لغاية ما أدبر لك شغلك.

حصاوي: حاضر ... بس ... تسمح لي بكلمة ... كلمة واحدة أخيرة.

الزوجة: إيه البجاحة دي! ... ما قال لك ما فيش كلام ... وبقك دا ينقفل ... ينكتم ... أما إنك بجح وبلط صحيح!

حصاوي: خلاص ... قفلت بُقي ... انكتمت ... عن إذنك.

(يخرج.)

المنظر الثالث

(خارج دار المُزارع ... حصاوي يرى فجأة زميله العاطل الأول مقبلًا يسحب الحمار الأصلي ... يأخذ الصديقان أحدُهما الآخر بالأحضان.)

حصاوي (لزميله)**:** قل لي ... عملت إيه؟

العاطل الأول: وانت؟ إزاي الحال؟

حصاوي: دلوقت أحكي لك ... لكن أنت عرفت مطرحي هنا إزاي؟!

العاطل الأول: مشيت وراكم من بعيد ... من غير ما تشعروا ... قل لي بقى حصل إيه مع أخينا ده صاحب الحمار؟

حصاوي: فُضَّك منه ... رجل مغفل ... مش عارف مصلحة نفسه ... وانت رجعت ليه دلوقت بالحمار؟

العاطل الأول: مش لازمنا ... فُرِجَت ... فرجها ربنا.

حصاوي: إزاي ده؟!

العاطل الأول: لقينا شغل.

حصاوي: لقيت شغل؟!

العاطل الأول: لي أنا وانت.

حصاوي: فين؟ قل بسرعة!

العاطل الأول: بعد ما سيبتك وبعدت عنكم. مشيت أنا والحمار ده لقيت غيط كبير فيه ناس بتزرع ... قلت لهم: عندكم شغل؟ ... قالوا: كتير ... لك ولعشرة زيك ... قلت لهم: معي زميل ... قالوا لي: مرحب ... روح هاته حالًا واستلموا الشغل ... وأديني جيت لك على طول.

حصاوي: عجيبة! دا إحنا دُخنا على الشغل ... مش فاكر؟ والناس كانت تبص لنا وتقول روح يا متشرد يا صايع إنت وهوه ... ما عندناش شغل للصايعين!

العاطل الأول: يظهر إن الحمار جنبي حسِّن سُمعتي!

حصاوي: على رأيك ... مش بيقولوا دايمًا دا حمار شغل؟! الحمار يعني شغل ... والحصان يعني عز ... مش بيقولوا عن الخيل ركوبها عز؟ والكلاب حراس ... والقطط حرامية.

العاطل الأول: آي والله صحيح ... هم شافوني مع الحمار قالوا مش ممكن دا يكون متشرد وصايع ... لازم بتاع شغل ... وشغَّلوني حضوري وشغَّلوك غيابي ... بناءً على توصيتي!

حصاوي: توصيتك إنت ولَّا توصية الحمار؟!

العاطل الأول: توصية الحمار ... هو في الحقيقة اللي شغَّلني وشغَّلك ... مش واجب نردُّه بقى لصاحبه؟

حصاوي: واجب.

العاطل الأول: وحاتقول له إيه؟

حصاوي: نقول له: خد حمارك.

العاطل الأول: وانت؟ إنت مش كنت عملت حماره وربطت الحبل في رقبتك؟!

حصاوي: هو دلوقت يفضَّل الحمار الحقيقي.

العاطل الأول: اسمع ... بدل ما تسلمه حماره وندخل معه في سين وجيم ... ويسألنا الحمار كان فين؟ وانتم تبقوا مين؟ ... إحنا نربط له حماره قدام داره ونختفي ... إيه رأيك؟

حصاوي: أحسن فكرة ... ياللا بنا!

(يربطان الحمار بباب الدار، ثم يدقان على الباب، ويختفيان ... ويفتح الباب ويظهر المزارع.)

المزارع (يرى الحمار فيدهش ويصيح)**:** الحقي يا ولية!

الزوجة (تظهر)**:** جرى إيه؟!

المزارع: شوفي ... بصي!

الزوجة: إيه؟

المزارع: رجع انسخط تاني! ... حصاوي ... رجع حمار زي ما كان في السوق ... هو بعينه ... زي ما اشتريته تمام!

الزوجة: الحمد لله ... ياما انت كريم يا رب!

المزارع: لكن بس ...

الزوجة: بس إيه؟ عاوز تقول إيه كمان؟!

المزارع: بس إحنا السبب!

الزوجة: ليه بقى؟ عملنا إيه؟

المزارع: عملنا له زي والده ما عمل ... قفل له بقه وسخطه حمار!

الزوجة: وما له الحمار؟! ... على الأقل نقدر نركبه.

المزارع: على رأيك ... لما كان بني آدم وله عقل ماكنش نافع ركوبه!

الزوجة: واحنا كان لازمنا عقله في إيه؟! إحنا عاوزين الركوبة اللي تشيلنا وتستحملنا ونروح بها ونيجي ... احمد ربك يا راجل واشكره اللي رجَّع لك حمارك النافع!

المزارع (يمسح رأس الحمار برفق): ما تآخذناش يا حصاوي! القسمة كده! ... إوعى تكون زعلان ... إنت برضه عندنا زي ما انت يا ... سيد حصاوي!

الزوجة: وبعدها لك يا راجل انت؟! ... إنت لسه حاتقعد وتناجي الحمار؟! أحسن يرجع ينطق!

(المزارع يسحب حماره في صمت نحو زريبة الدار ... بينما الزوجة ترفع صوتها بالزغاريد.)

١٩٧١/٢/١٢م

حصحص الحبُّوب

١

(مدرسة النجاح والفلاح ... مكتب ناظر المدرسة ... الناظر جالس إلى المكتب ... وأمامه السكرتير.)

الناظر: باقي عندنا كم تلميذ؟
السكرتير: حوالي سبعين.
الناظر: بس؟! مصروفاتهم ما تغطيش مرتبات المدرسين.
السكرتير: كان عندنا السنة الماضية تسعين.
الناظر: ونقصوا ليه؟
السكرتير: نجحوا واتخرجوا!
الناظر: تخرجوا؟ وكنا مستعجلين على خروجهم ليه؟!
السكرتير: يعني كنا نسقطهم؟!
الناظر: إيراد في إيدنا داخل لنا ... نسيبه يخرج؟!
السكرتير: إن سقطناهم وحجزناهم أهاليهم يقوِّموا علينا الدنيا ... ويقولوا مدرسة النجاح والفلاح ما خرجش منها واحد ناجح فالح.
الناظر: عندك حق ... إحنا واقعين بين المطرقة والسندان!
السكرتير: ما نقدرش نعمل غير كده.
الناظر: والمستجدين؟ مافيش تلاميذ جُدد؟
السكرتير: نسبة بسيطة ... أربعة ... خمسة ... بالكتير.
الناظر: ليه كده؟! الناس مش عاوزة تتعلم؟!

السكرتير: بيقولوا اللي بيتعلموه بينسوه ... والفلوس اللي بيدفعوها بتروح عليهم!
الناظر: ومحو الأمية ... الناس مش عاوزين يعرفوا يقروا ويكتبوا؟
السكرتير: يقروا إيه؟ جرايد؟ كتب؟ ودي بفلوس ولَّا بلاش؟ ... دول يا دوب لاقيين اللقمة.
الناظر: دا موضوع ما يخصناش ... المهم الإيراد ... أدفع لكم مرتباتكم منين؟
السكرتير: لو كان ربنا يفرجها بكم تلميذ مستجد ...

(نقْر على الباب.)

الناظر: ادخل.

(يدخل رجل ريفي يبدو عليه يُسْر الحال شأن وجهاء الأرياف.)

الوجيه: سلام عليكم.
الناظر: وعليكم السلام.
الوجيه: حضرة الناظر؟
الناظر: أفندم.
الوجيه: بقى الأمر وما فيه ... إني كل يوم أمر من قدام مدرستكم دي ... وأقرا اليافطة «مدرسة النجاح والفلاح» ... وأقول في نفسي يا بخت اللي يدخَّل ابنه يتعلم فيها.
الناظر (ينهض ويقدم كرسيًّا): متشكر ... تفضل استريح.
الوجيه: بالاختصار كده ... أنا عندي ابن ...
الناظر: ما شاء الله!
السكرتير: أنعِمْ وأكرِمْ!
الوجيه: الحقيقة هو مش ابني لزم ... إنما أنا أعزه زي ما يكون ابني تمام ... كانت ولادته على إيدي ... وربيته بنفسي على الغالي ... لغاية ما كبر ... واللي عنده ابن النهارده يعزه لازم يعلِّمه ... لأن التعليم في أيامنا دي ضروري لأولاد الناس الطيبين المقتدرين ... وأنا — والحمد لله — ميسور الحال.
الناظر: الحمد لله.
السكرتير: ونِعم بالله!
الوجيه: وما دمت قادر على مصروفاته ونفقاته وكل لوازمه، ليه أحرمه من فرصة التعليم؟

الناظر: لا ما يصحش.

السكرتير: واجب يتعلم.

الوجيه: علشان كده ...

الناظر: أيوه ...

السكرتير: أيوه ...

الوجيه: علشان كده قلت أجيبه معايه ... وأقدمه لكم ... وأرجوكم تقبلوه في المدرسة ... وأنا سدَّاد لكل الطلبات من جنيه لألف.

الناظر: أهلًا وسهلًا.

السكرتير: هو مقبول مقدمًا.

الوجيه: انتهينا ... أنا أسيبه في عهدتكم ورعايتكم وأنا مطمئن ... ولَّا إيه؟

الناظر: طبعًا ... طبعًا ... اطمئن.

السكرتير: اطمئن جدًّا ... هو فين؟

الوجيه: أنا رابطه بره.

الناظر: رابطه؟!

الوجيه: علشان ما يهربش ... أو يجري هنا ولَّا هنا!

الناظر: الاحتياط واجب.

السكرتير: والأولاد دأبهم الجري والنط.

الوجيه: هو من غير مؤاخذة ... حمار.

الناظر: وما له! ... بكره يتعلم ... أغلب التلامذة بيجولنا حمير وأغبياء ... واحنا نفضل وراهم لغاية ما يتعلموا ... دي شغلتنا.

الوجيه: بس ... أرجوكم خدوه بالراحة؛ لأنه مش متعود على الضرب.

الناظر: ضرب؟! لا إحنا هنا ما عندناش ضرب.

الوجيه: وإن عطش ... أنا جايب له جردل خصوصي.

الناظر: جردل؟!

السكرتير: قصد حضرته لازم إبريق.

الوجيه: لا ... لا ... هو ما يشربش إلا من الجردل ... السطل ...

الناظر: أيوه جردل ... سطل ... كل واحد حسب الاعتياد! ... هو حر يا أخي ... مزاجه كده!

السكرتير: وأنا قلت حاجة لا سمح الله؟! ... جردل جردل ... سطل سطل ... مسألة مزاج!

الوجيه: أما أكله ... فأنا اللي أجهِّز له بيدي العلف والعليق!

السكرتير: العلف والعليق؟!

الناظر: أيوه ... أيوه ... من باب التشبيه يعني ... حضرته دمه خفيف!

الوجيه: تصدقوا بالله؟ أنا مش ممكن أقدم له الفول والشعير والتبن إلا منخول بالمنخل الحرير ... أما في الربيع ... البرسيم يتنقى له بالعود.

السكرتير: البرسيم؟!

الناظر: يا سيدي اسكت انت ... أيوه برسيم وفول وشعير وتبن ... قلت لك حضرته دمه خفيف وظريف وابن نكتة.

الوجيه: على كل حال إنتم تشوفوا خاطره ... وتعتنوا به ... وأنا تحت أمركم في كل شيء ... ومستعد من دلوقت لدفع القسط المطلوب ... مع كافة اللوازم.

السكرتير: دا شيء جميل.

الناظر: دا حايكون في عينينا الاتنين ... تسمح تخلينا ننادي عليه، ونجيبه هنا.

الوجيه: ما فيش مانع.

السكرتير: أروح أنا أجيبه؟

الوجيه: لا ... الأحسن أروح أنا أجيبه بنفسي ... لأنه لسه مش واخد عليكم.

(الوجيه يخرج.)

السكرتير: أهو ربنا فرجها.

الناظر: يظهر إنه متريِّش وفلوسه كتير ... إحنا بقى نجهز له قايمة كبيرة بالمصروفات الأصلية والإضافية.

السكرتير: وكافة اللوازم العمومية والخصوصية.

(يدخل الوجيه يسحب حمارًا حقيقيًّا!)

الناظر (في دهشة)**:** إيه ده؟!

الوجيه: بكرة ياخد عليكم وتاخدوا عليه وتعلموه وتفهموه ... ويطلع بفضل الله وفضلكم ناجح وفالح ... في مدرسة النجاح والفلاح.

السكرتير: حمار بحق وحقيق!

الوجيه: ما لكم بلِّمتُم كده؟!
الناظر: لا ... ولا حاجة ... بس ...
الوجيه: بس إيه؟!
الناظر: لا مفيش ... إيه رأيك يا حضرة السكرتير؟
السكرتير: اللي تشوفه يا حضرة الناظر.
الناظر: تفتكر دا ... تلميذ ... ممكن قبوله بالمدرسة؟!
السكرتير: والله بقى ... ما دام حيدفع المصاريف ...
الوجيه: من جهة المصاريف قلت لكم أنا تحت الطلب ... من جنيه لألف ... وحالتنا متيسرة والأشيا معدن والحمد لله.
الناظر: من جنيه لألف؟!
السكرتير: نقبله يا حضرة الناظر ... نرفض تلميذ جاي يطلب العلم؟!
الناظر: لا ما يصحش ... خصوصًا واحنا بندعو لنشر التعليم ومحو الأمية.
السكرتير: دي رسالتنا المقدسة.
الناظر: فعلًا.
السكرتير: يبقى مقبول.
الناظر: على خيرة الله ... قيِّد اسمه يا حضرة السكرتير.
السكرتير: هو ... له اسم؟!
الوجيه: طبعًا ... طبعًا.
السكرتير (يشرع في الكتابة على ورقة)**:** اسم الكريم إيه؟
الوجيه: من يوم ولادته وأنا بناديه باسم دلع!
السكرتير: اسم دلع؟!
الناظر: أيوه وما له؟! اسم الدلع كويس قوي ... اكتبه يا حضرة السكرتير!
الوجيه: كلنا بنَّاديه باسم حصحص.
السكرتير: حصحص؟
الوجيه: أيوه مُصغَّر حصاوي!
السكرتير (وهو يكتب)**:** جميل! ... والسن؟
الوجيه: عمره دلوقت حوالي ... أربع سنين.
الناظر: جه في وقته ... يدخل الحضانة!

السكرتير: لا يا حضرة الناظر ... هو كبر على الحضانة ... أنا من رأيي ندخَّله سنة تانية على طول!

الناظر: إنت شايف كده؟!

السكرتير: طبعًا بالنسبة لظروفه الخاصة.

الناظر: حيث كده بقى ... خليها سنة رابعة بالمرة ... إكرامًا للوالد! ... أقصد لولي أمره المحترم.

الوجيه: الله يكرمكم.

السكرتير: أظن الأحسن نلحقه داخلية!

الوجيه: داخلية؟!

الناظر: أيوه يعني بالقسم الداخلي ... علشان بدل ما يروح وييجي مرتين في اليوم، ويعطَّل حضرتك عن أعمالك ... يبقى عندنا هنا طول الوقت.

السكرتير: واحنا نتكفل بكل لوازمه ... وكشف الحساب يجمع.

الوجيه: وأنا أشوفه ازاي؟

الناظر: تقدر حضرتك تشرَّف هنا ... مرة كل أسبوع ... أو كل أسبوعين.

السكرتير: أو كل شهر.

الوجيه: كل شهر؟!

الناظر: على قد ما تقدر ... كل ما تغيب عنه ويغيب عنك يكون أحسن له ... علشان ما يرجعش ينسى اللي تعلمه هنا ... خصوصًا إذا اختلط ببقية إخوانه!

السكرتير: دا شيء في مصلحته!

الوجيه: المهم عندي هي مصلحته.

الناظر: اتفقنا ... إنت تسيبه لنا هنا ... وتكون مطمئن.

الوجيه: وقسط المصروفات؟

الناظر: نقول لك حالًا ... كم يا حضرة السكرتير؟

السكرتير: قسط الداخلية عندنا ... بما فيه وجبات الأكل ... من فطور وغدا وعشا ...

الوجيه: لا ... مسألة الأكل دي عليَّ أنا ... أنا لازم أغربل له بنفسي العلف زي ما قلت لكم ... وبانقيه من أحسن صنف.

السكرتير: نحذف بند الأكل ... ويبقى عندنا مصاريف التعليم والمبيت والإشراف والنظافة والكشافة والهوايات والنشاط الاجتماعي والدروس الخصوصية والألعاب الرياضية! ...

الناظر: وكل ده طبعًا داخل ضمن القسط الأول.

الوجيه: وعلى كده يبقى القسط الأول كم؟

السكرتير: عشرين جنيه فقط لا غير.

الوجيه: عشرين جنيه؟!

الناظر: لاحظ حضرتك إن القسط الثاني حايكون أقل ... يعني ١٥ جنيه بدل عشرين ... والقسط الثالث عشرة جنيه بس.

الوجيه: على كل حال ... أنا عمري ما بخلت عليه بشيء.

السكرتير: طبعًا دا خلاف مصروف يده اليومي!

الوجيه: مصروف يده؟!

الناظر: ضروري ... هو مش له نفس زي بقية التلامذة؟! ... نفسه تهفُّه على جزَر ... خس ... كم لبشة قصب ... حِمل ملانة ... حاجات زي كده.

السكرتير: المطلوبات دي بقى نطلع بها كشف لوحده.

الوجيه: ماشي كلامكم.

الناظر: خلاص ... مبروك ... قيِّده عندك يا حضرة السكرتير في الجدول ضمن المقبولين الجدد.

السكرتير: حضرتك تورد القسط الأول دلوقت ... ونطلع لك به إيصال.

الوجيه: وجب ... آدي القسط الأول. (يُخرِج المبلغ من محفظته، ويضعه أمام الناظر على المكتب.)

السكرتير: وادي الإيصال.

(يكتب على ورقة، ويقدمها له.)

الوجيه: أستأذن أنا بقى ... وما اوصيكوش عليه ... أنا عاوزه يطلع على إيديكم متعلم كويس.

الناظر: متخافش ... بكرة يطلع نابغة!

الوجيه (للحمار): وانت يا حصحص ... خد بالك من نفسك ... وشد حيلك كده ... علشان أفتخر بك في البلد ... وترفع راسي قدام الناس.

الناظر: استلم التلميذ يا حضرة السكرتير! ... وخلي بالك منه كويس.

السكرتير: على راسي من فوق!

الوجيه: معادنا الشهر الجاي.
الناظر: بالسلامة إن شاء الله.
الوجيه: سلام عليكم.
الناظر: وعليكم السلام ورحمة الله.

(الوجيه يخرج.)

السكرتير: يا ما انت كريم يا رب!
الناظر: نجدة وجات لنا من السما.
السكرتير: حقا ... حد كان يتصور إن السما تنفتح لنا، وينزل علينا مرة واحدة الرزق دا كله؟!
الناظر: رزق الهبل على المجانين!
السكرتير: واحنا هبل؟!
الناظر: أمال احنا إيه؟! اللي نقبل في مدرستنا تلميذ بالشكل ده؟!
السكرتير: تلميذ بالشكل ده؟! دا التلميذ ده يا حضرة الناظر يساوي تقله دهب! دا مصاريفه لوحده أكثر من مصاريف عشرين تلميذ من تلاميذ المدرسة.
الناظر: على كل حال ربنا فرجها من عنده والسلام.
السكرتير: وما دام الفرج حصل والحمد لله، تقدر دلوقت — يا حضرة الناظر — تدفع لنا مرتباتنا المتأخرة.
الناظر: مرتباتكم؟!
السكرتير: أيوه مرتباتنا ... إحنا قبضنا حاجة بقى لنا أكثر من شهرين؟!
الناظر: إنتم مين؟!
السكرتير: مدرسين المدرسة ... وأولهم أنا ... بصفتي مدرس الحساب والرسم والألعاب الرياضية والقائم بأعمال السكرتير ... احسب بقى حضرتك مرتبات الوظايف دي كلها!
الناظر: شيء عجيب! ... الوظايف دي كلها؟! إنت عاوز تحسبها بالقطاعي ... بتشتغل عندي بالتجزئة؟! إنت هنا يا أفندي كُلَّك على بعضك كده مرتبك هو مرتبك ... خمسة جنيه في الشهر ... تفضل آدي الخمسة جنيه.
السكرتير: شهر واحد؟!

الناظر: وآدي كمان خمسة جنيه عن الشهر اللي فات ... نبقى خالصين ... بس إياك تجيب سيرة لبقية المدرسين.

السكرتير: بقية المدرسين؟! هو فيه مدرس تاني غيري هنا إلا الشيخ علوان؟! ... منه مدرس لغة عربية وديانة وخط عربي ومواد اجتماعية ... إحنا كلنا على بعضنا اتنين فقط لا غير ... وقايمين بأعمال عشرة مدرسين!

الناظر: طيب خلاص ... يبقى ما فيش لزوم زميلك الشيخ علوان ياخد خبر بحكاية التلميذ الجديد ده.

السكرتير: أمال مين اللي حايدرِّس له لغة عربية؟!

الناظر: إيه الكلام الفارغ ده يا حضرة السكرتير؟! ... إحنا حاندرِّس له؟!

السكرتير: أمال حانعمل به إيه؟! هو مش أصبح «مقيد» في جدول المدرسة؟!

الناظر: إنت بتهزر؟!

السكرتير: مجرد سؤال ... إحنا قبلناه في المدرسة هنا علشان إيه؟

الناظر: والله ما انا عارف! ... راحت السكرة وجات الفكرة!

السكرتير: اسمع يا حضرة الناظر ... أنا جات لي فكرة.

الناظر: قول اعمل معروف.

السكرتير: إحنا نبيعه في السوق.

الناظر: نبيع التلميذ؟!

السكرتير: الحمار! ... الحمار ده آخده أنا في السر ... أروح أبيعه في سوق بعيدة ... وتمنه ينفعنا في فكِّ أزمتنا ... على الأقل نبيض به جدران المدرسة ... بدل ما نسمع اللي بيشيع إنها بناية قديمة.

الناظر: ولما ييجي ولي أمره الشهر الجاي يسأل عنه؟

السكرتير: نخترع له أي عذر.

الناظر: ودا يساوي كتير طبعًا.

السكرتير: حسب سعر السوق.

الناظر: بيقولوا الحمير اليومين دول سعرها غالي.

السكرتير: إزاي؟ ... ليه؟!

الناظر: علشان ما فيش غيرها عندنا! ... وأزمة المواصلات زي ما انت عارف.

السكرتير: إحنا وحظنا بقى.

(السكرتير يتجه إلى الحمار ليقوده إلى السوق.)

٢

(نفس المكان ... بعد مرور شهور.)

السكرتير: والعمل دلوقت؟ بعد ما بعنا الحمار وقبضنا تمنه وتصرفنا في الفلوس ... وصاحبه كل شهر ينط لنا يسأل عليه حسب الاتفاق.

الناظر: نقول زي كل مرة ...

السكرتير: أول مرة قلنا له في رحلة مدرسية ... وتاني مرة قلنا له بياخد دروس خصوصية ... وتالت مرة قلنا بيستعد لامتحان آخر السنة ... ورابع مرة نصحناه يصبر عليه لما يتقدم لامتحان آخر السنة ... والمرة دي حانقول له إيه؟ مش ممكن بقى حايسكت إلا لما يشوفه بعينه ويطمئن عليه.

الناظر: هو جاي إمتى؟

السكرتير: معاده قرَّب ... جايز نلقاه طب علينا النهارده.

الناظر: ربنا يستر.

(دق على الباب.)

السكرتير: أهو حضر.

الناظر: روح افتح له ... وربنا يفتح علينا بكلمتين.

السكرتير: إحنا لازم المرة دي نقطع العرق ونسيح دمه.

الناظر: نسيح دم مين؟!

السكرتير: قصدي ننهي الموضوع ويَّاه بأي طريقة ... علشان نريح دماغنا ونخلص.

(يذهب ويفتح الباب ... فيظهر أفندي يبدو عليه أنه موظف.)

الموظف: سلام عليكم.

السكرتير: دا مش هوه.

الناظر: وعليكم السلام.

الموظف: حضرتك طبعًا ناظر المدرسة دي؟

الناظر: أيوه يا أفندم.

الموظف: أنا جاي أتباحث مع حضرتك في موضوع مهم.

الناظر: خاص بالنجل الكريم؟

الموظف: لا ... أنا ماليش أولاد عندكم.
الناظر: بخصوص أولاد تحب تلحقهم بالمدرسة؟
الموظف: لا ... لا ... بخصوص موضوع تاني.
الناظر: موضوع الحمار؟
الموظف: حمار إيه؟!
الناظر: يعني موضوع تاني مالوش علاقة بـ...
الموظف: موضوع خاص بالمدرسة وصلاحيتها.
الناظر: صلاحيتها؟!
الموظف: أيوه ... المدرسة دي أصبحت لا تصلح.
الناظر: تقصد إيه سيادتك؟
الموظف: أقصد ما يصحش يكون فيها تلامذة.
الناظر: آه ... كل ده يعني علشان ... مسألة الحمار.
السكرتير: تأكد — يا حضرة الفاضل — إن الحمار ده عمره ما اختلط بالتلامذة.
الناظر: واضح إنكم لازم سمعتم من ولي أمره إننا ألحقناه بالمدرسة ... إحنا ألحقناه بس بصفة اسمية.
الموظف: ألحقتم مين؟
الناظر: الحمار!
الموظف: إنتم ألحقتم حمار بالمدرسة؟!
السكرتير: دا والله بس من باب المجاملة!
الموظف: مجاملة مين؟
السكرتير: الحمار!
الموظف: مجاملة الحمار؟!
الناظر: قصده ولي أمر الحمار!
الموظف: إيه الكلام ده؟! ... أنا مش فاهم حاجة أبدًا.
الناظر: فهِّمنا سيادتك إنت ... إيه سبب تشريفك؟
الموظف: أنا جاي من طرف شركة العلف.
الناظر: العلف؟! آه فهمنا ... قل لنا كده من الصبح ... يبقى لازم صاحب الحمار هو اللي باعتك علشان علف حماره!

الموظف: رجعنا تاني لحكاية الحمار ... يا ناس حمار إيه بس؟ ... فهِّموني.

الناظر: مش حضرتك بتقول العلف؟!

الموظف: أيوه الموضوع خاص بشركة العلف الأهلية والمبيدات الحشرية ... إنتم ماسمعتوش عن الشركة دي؟

الناظر: طبعًا ... مقرها جنبنا على ناصية الشارع.

الموظف: الشركة دي يلزمها مدرستكم ... علشان تهدها وتبني مكانها شونة تخزن فيها العلف.

السكرتير: تهد مدرستنا دي؟!

الموظف: مدرستكم دي جدرانها قديمة ... آيلة للسقوط ... وخطر على التلامذة ... ومدير الشركة ناوي يبلغ الجهات المختصة علشان تتولى عملية الهدم.

الناظر: إيه الكلام الفارغ ده؟! ... إنت مين حضرتك؟

الموظف: أنا مندوب عن الشركة ... جيت أبلغكم أمر المدير بإخلاء المدرسة من التلامذة.

السكرتير: أمر المدير؟!

الناظر: وفين حضرة المدير ده؟

الموظف: قاعد هناك في الشركة.

الناظر: روح بلغ حضرة المدير بتاعك إنه يستحي ويلم نفسه ... قل له عيب يشرد طلاب العلم علشان يحط بدلهم علف بهايم!

الموظف: كده؟! ... كده؟! يعني مش ناويين تسمعوا كلام حضرة المدير؟!

الناظر: نهدم المدرسة؟! مين اللي قال إنها آيلة للسقوط؟! يبقى هو حضرته اللي كان بيشيع عنها الإشاعات دي علشان طمعان فيها.

السكرتير: والحكاية كلها إن الجدران كانت ناقصة شوية بياض ... وحانقوم إن شاء الله ببياضها عن قريب في الإجازة الصيفية.

الموظف: أنا حاقول لسيادة المدير يطربقها ويهدها على دماغكم.

الناظر: وعلى دماغ سيادة مديرك بإذن الله.

(الموظف يخرج.)

السكرتير: إيه البلاوي اللي بتتحدف علينا دي؟!

الناظر: ومدير شركة العلف ده ما له وما لنا بس؟! ... يعني مالقاش غير مدرستنا دي يقلبها شونة؟!

السكرتير: أمال لو كنا احتفظنا فيها بالحمار ... كان قال إيه؟!

الناظر: كان إجراء في محله ... إننا بعناه في الوقت المناسب ... بس صاحبه لما ييجي دلوقت نقول له إيه؟

السكرتير: المرة دي نقول له بقى إنه ...

(دق على الباب ... ثم يُفتح ويظهر صاحب الحمار ... الوجيه.)

الوجيه: سلام عليكم.

الناظر: وعليكم السلام ... أهلًا وسهلًا ... أهلًا وسهلًا.

السكرتير: يا ألف مرحبا.

الوجيه: أنا جيت أهوه حسب الوعد.

الناظر: يا ألف مرحبا.

السكرتير: يا ألف ألف مرحبا.

الوجيه: أنا بقى المرة دي ... ماقدرش أخرج من عندكم من غير ما أشوف حصحص ... أنا مشتاق له شوق يعلم بيه ربنا ... حطوا نفسكم في مطرحي ... كام شهر فات من غير ما أشوفه ... قربنا على السنة!

الناظر: لك حق ... ضروري تشوفه.

السكرتير: وتفرح به كمان!

الوجيه: أفرح به؟! ... هو نجح؟

السكرتير: نجح وتخرج!

الوجيه: وتخرج؟!

الناظر: واتعيِّن ...

الوجيه: وكمان اتعيِّن؟!

السكرتير: أمال إيه ... دا طلع نابغة!

الناظر: مش قلنا لك دا حيبقى نابغة؟!

الوجيه: دا على كده يبقى لكم عندي الحلاوة.

السكرتير: طبعًا ... الحلاوة الكبيرة ... شوف بقى لما عزيزك ده يتخرج من عندنا ... ويتعين على طول.

الوجيه: واتعيِّن إيه؟

السكرتير: اتعيِّن ... حاجة كبيرة قوي!

الوجيه: كبيرة قوي؟! زي إيه كده؟

السكرتير: زي ... زي مدير!

الوجيه: مدير؟!

الناظر: أيوه مدير ... مدير ... مدير شركة!

الوجيه: مدير شركة حتة واحدة؟!

السكرتير: آه والله كده حتة واحدة!

الوجيه: ومدير شركة إيه؟

الناظر: مدير شركة العلف!

الوجيه: شركة العلف اللي ...

الناظر: أيوه اللي جنبنا هنا على الناصية.

الوجيه: صلاة النبي أحسن يا رجالة! بقى شركة العلف الكبيرة دي اللي على الناصية ... اللي كل من مشي في الشارع يمر عليها ... يبقى مديرها دلوقت هوه ...

السكرتير: هو بسلامته حصحص!

الوجيه: حصحص عزيزنا وحبوبنا ... يا سلام! ... لكن بس ... ليه مافاتش علينا في البيت يبشرنا ... والناس تبارك ونسقي الشربات في الجيرة كلها؟!

الناظر: اعذره ... كان مشغول لشوشته في إجراءات التعيين واستلام الوظيفة ... ومقابلة الحكام في مصر ... وخلاف ذلك.

الوجيه: مقابلة الحكام؟!

الناظر: أمال إيه؟! ... مش مدير قد الدنيا؟!

الوجيه: ما شاء الله ... ما شاء الله!

السكرتير: هو من يومه كان باين عليه النباهة ... وانت لازم لاحظت عليه كده ... أمال جبته هنا المدرسة ليه؟!

الوجيه: هو صحيح كان باين من عينيه إنه فاهم كل حاجة!

الناظر: إحنا كنا منتظرين له المستقبل العظيم ده ... ولذلك أخذنا بالنا منه كويس، واعتنينا به أكبر عناية، وعلِّمناه أحسن تعليم. وهو كمان كان مجتهد، وبقى ياخد كل سنة في شهر ... مقرر أربع سنوات حفظهم في سنة واحدة ... دا بقى حاجة تانية دلوقت ... ولما تشوفه النهارده حاتلقاه اتغير وبقى بني آدم!

الوجيه: بني آدم؟!
الناظر: طبعًا ... بني آدم زيي وزيك!
السكرتير: ولبس كمان بدلة محترمة!
الناظر: وقاعد على مكتب قد ده مرتين!
الوجيه: ما شاء الله! ويا ترى حايعرفني دلوقت لما يشوفني؟
الناظر: لازم يعرفك! ... بس انت اللي جايز ما تعرفوش!
الوجيه: لا ... أعرفه برضه ... مهما تغير مش حايخفى عليَّ!
الناظر: على رأيك ... مهما تغير شكله ووضعه هو برضه حصحص!
الوجيه: لازم أروح له دلوقت وأهنيه وأبارك له ... أهو مكتبه قريب على ناصية الشارع.
الناظر: بس طوِّل بالك عليه ... إذا قابلك في الأول كده ولَّا كده.
الوجيه: كده ولَّا كده إزاي؟! ... يعني حايتكبر عليَّ؟!
السكرتير: لا ما يصحش يتكبر عليك، وانت في مقام والده وصاحب الفضل عليه ... لكن بقى انت عارف الواحد لما بيرتفع ويبقى في المناصب الكبيرة ...
الوجيه: ما تخافوش ... أنا برضه أعرف آخده بالراحة والإنسانية ومقدَّر مركزه.
الناظر: على خيرة الله ... لكن بس يعني ... إنت حاتنسانا؟
الوجيه: لا أنساكم ازاي؟! ... إنتم الخير والبركة ... ولكم عندي الحلاوة الكبيرة ... بس لما أروح له وأرجع لكم.
السكرتير: خير البر عاجله ... ورِّد لنا دلوقت حاجة كده على الحساب.
الناظر: كل اللي في جيبك بركة ... وجيب السبع مايخلاش!
الوجيه: ماشي كلامكم ... وآدي كل اللي في جيبي دلوقت.

(يُفرِغ محفظته.)

الناظر: عشرة جنيه مجمدة واتنين جنيه فكة ... نعمة من الله!
الوجيه: سبتكم بقى بعافية ... لما أروح ألحق عزيزنا المدير.

(يخرج مسرعًا ... وينفجران هما بالضحك.)

٣

(شركة العلف والمبيدات ... مدير الشركة جالس إلى مكتبه ... وأمامه صحفي يُجري معه حديثًا يدوِّنه في ورقة.)

الصحفي: دي أفكار جريئة جدًّا ... والحديث ده حايعمل رجَّة ... لكن اسمح لي يا سيادة المدير أسأل سؤال ...

المدير: تفضل.

الصحفي: الشركة دي اسمها شركة العلف والمبيدات الحشرية ... إيه اللي جمع الصنفين دول في شركة واحدة؟! ... هل يوجد بين العلف والمبيدات علاقة؟!

المدير: طبعًا ... طبعًا ... العلف متعلق بالمواشي والمبيدات متعلقة بالحشرات ... وبين المواشي والحشرات علاقة وثيقة؛ المواشي بتتغذى على العلف، والحشرات بتتغذى على دم المواشي!

الصحفي: لكن مشروع سيادتك الجريء ده حايحد من نشاط الشركة.

المدير: إزاي؟!

الصحفي: سيادتك عاوز تُصدر العلف.

المدير: علشان أجيب عملة صعبة.

الصحفي: في الحالة دي المواشي تاكل إيه؟!

المدير: مافيش مواشي ... حانصدر كمان المواشي!

الصحفي: تصدر المواشي واحنا ناكل إيه؟!

المدير: نستورد لحوم مجمدة.

الصحفي: وإيه الحكمة في كده؟

المدير: أقول لك ... المواشي تمنها أغلى ... واللحوم المجمدة تمنها أرخص ... والفرق مكسب ... يعني ناكل لحوم مجمدة ونكسب عملة صعبة ... ونتخلص من المواشي وعلفها وقرفها!

الصحفي: يعني نشاط الشركة حايكون تصدير العلف للخارج؟!

المدير: تمام كده.

الصحفي: والمبيدات الحشرية؟

المدير: ما لها المبيدات؟

الصحفي: ما دام مافيش مواشي ... يبقى إيه عمل المبيدات؟

المدير: حانصدر المبيدات!

الصحفي: والقطن؟ ... دودة القطن مش يلزمها مبيدات؟

المدير: دودة القطن حانمنع عنها المبيدات!

الصحفي: إزاي؟

المدير: شوف يا سيدي ... القطن أغلى أو الحرير؟

الصحفي: الحرير طبعًا.

المدير: عظيم ... إحنا بقى نلغي القطن ونزرع حرير!

الصحفي: نزرع حرير؟!

المدير: إنت عارف إن دودة القطن ممكن لو تركتها تعيش وتنمو وترعرع تشرنق والشرانق تعمل حرير؟

الصحفي: دودة القطن؟!

المدير: أيوه دودة القطن ... تشرنق ويطلع منها حرير ... ولذلك إحنا بدل ما نقاوم الدودة ونبيدها نتركها تعيش وتاكل القطن!

الصحفي: تاكل القطن ... يعني نزرع القطن ونسيب الدودة تأكله؟!

المدير: بالضبط ... هو ده مشروعي المبتكَر ... نزرع القطن كالعادة ... ونجعله طعام للدودة ... والدودة تعطينا حرير ... والحرير أغلى من القطن ... نبقى كدا زودنا أرباحنا ... مش ده الكلام المعقول؟!

الصحفي: من جهة معقول ... هو معقول!

المدير: عيبنا في البلد — يا حضرة — إننا محتاجين للكلام المعقول ... أزمتنا أزمة كلام معقول!

الصحفي: لا ... الحمد لله ... البلد بخير!

المدير: إنت بقى يا حضرة الصحفي اللامع مهمتك إنك تبرز المشروع ده في الصفحة الأولى ... وتلمَّعه كويس ... علشان الخبراء والمختصين يدرسوه باهتمام.

الصحفي: لكن معنى كل ده بعد تصفية العلف والمبيدات ... إن نشاط الشركة زي ما قلت لسيادتك حايبقى محدود جدًّا.

المدير: أنا اللي يهمني فقط المصلحة العامة!

الصحفي: ده شيء تُشكر عليه.

المدير: ومع ذلك ... نشاطنا المحدود حايدر أرباح أكتر ... لأن العلف والمبيدات حانصدرها لأسواق الخارج، وده أهم من التوزيع المحلي.

الصحفي: يعني المشروع بالاختصار إننا ننتج العلف وننتج المبيدات ونصدرها للخارج، وناكل لحم مجمد ونترك الدودة تاكل القطن.

المدير: تمام كده.

الصحفي: دا شيء عظيم ... تسمح لنا سيادتك بصورة؟

المدير: صورة؟

الصحفي: أيوه صورة فوتوغرافية ... علشان ننشرها مع الحديث.

المدير: طبعًا ... أنا مستعد دايمًا للظروف اللي زي دي! ... تفضل.

(يُخرِج من درج مكتبه صورة كبيرة يقدمها للصحفي.)

الصحفي: جميل ... ما عندكش كمان صورة للدودة؟!

المدير: صورة لإيه؟!

الصحفي: للدودة.

المدير: تنشرها مع صورتي؟

الصحفي: لا ... مش جنب بعض ... طبعًا ... دا شيء من اختصاص التوضيب في الجريدة ... إنما الدودة ... دودة القطن اللي حاتبقى دودة حرير حايبقى لها شأن يثير اهتمام القراء.

المدير: مع الأسف ... ما عنديش صورة دود!

الصحفي: ما عليش إحنا نتصرف ... ممكن نعمل لها صورة رمزية ... أنا متشكر على الحديث الخطير ده ... وأستأذن.

المدير: مع ألف سلامة.

(الصحفي يخرج ... ويدخل المندوب.)

المندوب: الرجل المغفل ناظر المدرسة ... رفض ولبخ في الكلام ... وقال لي أبلغ سيادتك إنه لا يمكن يشرد طلاب العلم علشان نخزن بدلهم علف بهايم.

المدير: هو قال كده؟

المندوب: وأكثر من كده.

المدير: طيب ... سيبه لي ... أنا حاعرف أربيه.

المندوب: فيه كمان حاجة تانية ... واحد بره بيلح يقابل سيادتك ... قلنا له إنك مشغول مع الصحافة ... أصر على إنه يشوفك.

المدير: مين ده؟ واحد من عملائنا؟
المندوب: لا ... ما سبقش جه هنا.
المدير: وعاوز إيه ده؟
المندوب: بيقول إنه بيربطه بسيادتك قرابة ... أو حاجة زي كده.
المدير: قرابة؟! شكله إيه؟
المندوب: من الأهالي ... بس نضيف شوية ... يظهر إنه من الأعيان أو المتريشين حبتين.
المدير: قل له يدخل ... نشوف ده مين؟

(المندوب يخرج، ويترك الباب مفتوحًا ... ويدخل الوجيه فاتحًا ذراعيه.)

الوجيه: بالحضن ... بالحضن ... بالحضن.
المدير (في دهشة)**:** أهلًا وسهلًا.
الوجيه: كمان بالحضن ... إنت واحشني قوي ...
المدير (محاولًا التخلص من الحضن)**:** بس ... حضرتك تبقى مين؟
الوجيه: أبقى مين؟! إنت مش عارفني يا حصحص؟!
المدير: إيه؟! بتقول إيه؟
الوجيه: حصحص ... إنت نسيت ولَّا إيه؟!
المدير: نسيت إيه؟! إحنا سبق اتقابلنا قبل كده؟!
الوجيه: عجايب! لا إنت اتغيرت صحيح ... كل شيء فيك اتغير ... ما فيش غير عينيك السود دول ... ونظرتك وزغرتك ... هي عينين حصحص ونظرته وزغرته!
المدير: حصحص؟! ... إنت ما تكونش غلطان في واحد تاني؟!
الوجيه: لا أبدًا وحياتك ... وغلاوتك عندي ... هو انت بعينه ... بس يمكن زي ما بيقولوا ... الوظائف بتغير الناس ... لكن إنت برضه عمرك ما حتنسى اللي رباك، وكان في مقام أبوك ... وصرف عليك دم قلبه ... لغاية ما بقيت بني آدم.
المدير: إنت ربتني وصرفت عليَّ؟!
الوجيه: حاتنكر كمان اللي تكلفته في تربيتك ... دا انت من صغرك ما كان حد يقدم لك الأكل غيري ... علف من أجود صنف ... وما كان حد غيري ينخل لك التبن والشعير ... أمال إنت دلوقت بقيت مدير علف إزاي؟ الخبرة عليها عمل ... وانت لك خبرة في العلف ... من أيام ما كنت بتدوقه.

المدير: أدوقه؟!

الوجيه: بس مسألة المبيدات الحشرية دي مش فاهمها ... مدير علف مفهومة ... أنا بقول في نفسي لازم علشان وانت صغير كان دايمًا بيضايقك الدبَّان والقراد والناموس والهاموش ... وكنت بتنشه بديلك ... لغاية ما اشتريت لك مبيد ... وكل يوم أرش جسمك كله ... من الرأس للديل!

المدير: ديل! ... ديل مين يا راجل انت؟

الوجيه: وكمان مش فاكر إن كان لك ديل؟!

المدير: لا ... دا لازم مجنون ... اسمع يا راجل انت ... إنت تتفضل من غير مطرود ... أحسن لك.

الوجيه: بتطردني؟! وانا اللي كنت جاي علشان أقولك مبروك وأفرح بك ... لكن ما عليهش ... المسامح كريم ... إنت اتغيرت، لكن أنا متغيرتش ... منزلتك عندي زي ما هي ... وعمري ما حنساك ... ولا أنسى أيام زمان ... أيام ما كنت أفرش لك قش الرز النضيف قرب سريري ... ولا أرضى أبدًا إنك تنام في الزريبة مع بقية المواشي.

المدير: وآخرتها معاك يا راجل إنت؟! ... إنت طالب مقابلتي علشان تهينِّي في مكتبي؟!

الوجيه: أنا أهينك؟! أنا عمري أهنتك أو كدرت خاطرك؟!

المدير: طيب خلاص ... إنت دلوقت جاي ليه؟ وعاوز إيه؟

الوجيه: جاي ليه؟! وعاوز إيه؟! ... جاي أبارك لك وأفرح بك ... وعاوز سلامتك وعزك وربنا يفتحها في وشك ... ويرفع مقدارك كمان وكمان.

المدير: متشكر ... فيه حاجة تانية؟

الوجيه: لا أبدًا ... بس ما كنتش منتظر تقابلني المقابلة دي ... مهما كان ماكنش يصح منك تعمل إنك مش عارفني ... وتنسى كل حاجة ... وتنكر معزتي لك واللي عملته لك ... دا لا ينكر الجميل إلا ابن الحرام ... وانت ما كنتش ابن حرام ... دا أبوك أنا اشتريته بإيدي ... وأمك — والشهادة لله — كانت أحسن حمارة في البلد!

المدير: آه يا قليل الأدب ... يا وقح يا حيوان ... امشي اطلع بره ... بره ... بره.

(يدخل على الصياح المندوب ... وخلفه الصحفي في دهشة وتساؤل.)

المندوب: إيه؟ ... فيه إيه يا سيادة المدير؟

المدير: شوفوا الرجل الحيوان ... الحمار ده ... اطردوه بره.

الوجيه: أنا الحيوان؟ أنا الحمار؟ وكمان نسيت مين فينا الحمار يا حصحص؟

الصحفي: يا إيه؟ ... بتقول اسمه إيه؟
المدير (للصحفي)**:** مالكش انت شأن بيه ... دا رجل مجنون.
الوجيه: أنا مجنون؟! ... ما عليهش يا حصحص.
الصحفي (للوجيه)**:** إنت تعرف حضرة مدير الشركة؟
الوجيه: ما أعرفوش ازاي ... دا أنا اللي مربيه.
الصحفي: تسمح تعطينا معلوماتك عن سيادته؟
المدير: ده رجل وقح مخبول ... عاوز يروح مستشفى المجاذيب!
الوجيه: الله يسامحك.

(ناظر المدرسة والسكرتير يدخلان.)

الناظر: إيه الحكاية؟
الوجيه: تعالَ يا حضرة الناظر ... شوف تلميذكم ... إنتم عملتم فيه إيه؟! علِّمتوه إيه؟! ... دا حتى مش عارف إنه حمار واسمه حصحص!
الناظر: وهو فيه حمار يعرف إنه حمار!
المدير: وانت تبقى مين انت كمان؟!
الناظر: أنا ناظر المدرسة ... اللي انت عاوز تهدمها وتخزن فيها علف المواشي.
السكرتير: والحمير.
المدير: بره ... كلكم بره ... بره يا حشرات ... والله لأطردكم جميعًا برشاشة المبيدات!
الجميع: إحنا حشرات؟!
المدير: بالمبيدات ... بالمبيدات!

(يتناول رشاشة مبيد ويرش عليهم كلهم.)

١٢/٥/١٩٧٢م

هنـــداوي